تفسير
سورة آل عمران

يوسف بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن السيف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

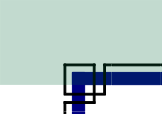

تفسير سورة آل عمران

إعداد

يوسف بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن السيف

سنة النشر

١٤٤٣هـ /٢٠٢٢م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:

فهذا تعليق يسير على **سورة آل عمران**، أسأل الله العظيم بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن ينفع به وأن يجعله في موازين الحسنات إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ولعل هذا العمل اليسير تتلوه أعمالٌ أخرى إن شاء الله، علمًا بأنَّ هذه النسخة هي المراجعة الأولى، فمن وجد ملحوظة فلينبهني عليها مشكورا مأجورا لتلافيها مستقبلا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه/ يوسف بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن السيف

ومن وجد ملحوظة فلينبهني عليها مشكورا مأجورا لتلافيها مستقبلا.

y.uosef-12@hotmail.com

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير سورة آل عمران

هِيَ مَدَنِيَّةٌ بِالإجْماعِ؛ لأنَّ صَدْرَها إلى ثَلاثٍ وَثَمانِينَ آيَةً مِنْها نَزَلَتْ في وَفْدِ نَجرانَ، وَكانَ قُدومُهُمْ على النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الهِجْرَةِ، في سِتّينَ راكِبًا، وَقَدْ ذَكَرْنا ما وَرَدَ في فَضْلِها مَعَ سورَةِ البَقَرَةِ.

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [آل عمران: ١].

الله تعالى أعلم بِمُرادِه، وهِي مِنَ المُتشابِهِ الذِي اسْتَأثَرَ اللهُ تَعالى بِعِلمِه، لكِنْ فِيهَا إشارَةٌ إلَى إعْجازِ القُرْآنِ؛ فَقَدْ وَقعَ بِه تَحَدِّي المشرِكِينَ، فَعَجَزوا عَن مُعَارضَتِهِ، وَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ هَذِهِ الحُرُوفِ التِي تَتَكوَّنُ مِنهَا لُغةُ العَربِ، وَلهَذا فَإنَّ غَالبَ السُّورِ المُفتَتَحَةِ بِهَذِهِ الحُروفِ يُذكَرُ بَعدَهَا القُرآنُ الكَرِيمُ، وَالثَّنَاءُ عَليهِ، وَبيَانُ إعْجَازِهِ، وأنَّهُ حَقٌّ لا رَيْبَ فِيه.

۞ ۞ ۞

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: ٢].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَيْ: لاَ مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلاَّ هُوَ ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ الدَّائِمُ الْبَقَاءُ الَّذِي لاَ يَمُوتُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧]، وَقَالَ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ الْقَائِمُ بِتَدْبِيرِ أَمْرِ الْخَلْقِ فِي إِنشَائِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ.

۞ ۞ ۞

﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ [آل عمران: ٣ – ٤].

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتابَ﴾ أيْ: القُرآنَ ﴿بِالحَقِّ﴾ بالصِّدْقِ في إخْبارِهِ وَالعَدْلِ في أحْكامِهِ، كَما قالَ تَعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾. ﴿مُصَدِّقًا لِما بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مُوافِقًا لِما قَبْلَه مِنَ الكُتُبِ. ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْراةَ﴾ على موسى عَلَيْهِ السَّلامُ. ﴿وَالإنْجِيلَ﴾ على عيسى، عَلَيْهِ السَّلامُ. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أيْ: أنْزَلَ التَّوْراةَ وَالإنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ تَنْزِيلِ القُرآنِ. ﴿هُدًى لِلنّاسِ﴾ حالٌ مِنَ التَّوْراةِ وَالإنْجِيلِ وَالقُرآنِ، وَلَمْ يُثَنَّ لأنَّهُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَصْدَرٌ، وَالمَعْنى: أنْزَلَ هَذِهِ الكُتُبَ العَظيمَةَ هِدايَةً لِلنّاسِ وَبَيانًا لَهُمْ، كَما قالَ تَعالى: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْيانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمينَ﴾. ﴿وَأَنْزَلَ الفُرْقانَ﴾ الفارِقَ بَيْنَ الحَقِّ وَالباطِلِ، وَالمُرادُ بِهِ عِنْدَ أَكْثَرِ المُفَسِّرينَ: التَّوْراةُ وَالإنْجيلُ وَالقُرْآنُ، يَعْني: هَذِهِ الكُتُبُ تُفَرِّقُ بَيْنَ الحَقِّ وَالباطِلِ، وَقالَ بَعْضُهُمْ: المُرادُ بِالفُرْقانِ هُنا القُرآنُ، وَكَرَّرَهُ تَفْخيمًا لَهُ. ﴿إنَّ الَّذينَ كَفَروا لَهُمْ عَذابٌ شَديدٌ وَاللهُ عَزيزٌ﴾ وَالعَزيزُ مِنْ أَسْماءِ اللهِ تَعالى، وَمَعْناهُ: الغالِبُ الذي لا يُقْهَرُ، وَلا يُنالُ مِنْهُ. ﴿ذو انْتِقامٍ﴾ مِنْ صِفاتِ اللهِ تَعالى، وَمَعناهُ: المُبالِغُ في العُقوبَةِ لِمَنْ أساءَ، المُسَلِّطُ بَلاءهُ على العُصاةِ.

۞ ۞ ۞

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: ٥ – ٦].

قَوْلُهُ تَعالى: ﴿إنَّ اللهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ في الأرْضِ وَلا في السَّماءِ﴾ أيْ: إنَّ اللهَ- تَعالى – لا يَغيبُ عن عِلْمِه شيءٌ مِنَ الأشْياءِ في الأرْضِ، وَلا في السَّماءِ، مَهما قَلَّ أوْ كَثُرَ؛ فَهُوَ سُبحانَهُ المحيطُ عِلْمُهُ بدَقائِقِ الأشْياءِ وَالأحداثِ وَالأحْوالِ، وَثَمَّةَ آياتٌ كَثيرَةٌ في القُرآن تَتَضَمَّنُ مَعنى هَذِهِ الآيَةِ نَفْسَهُ. وَقَوْلُه تَعالى: ﴿هُوَ الّذي يُصَوِّرُكُمْ في الأرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ﴾ أيْ: هُوَ الَّذي يَجْعَلُكُمْ ذُكورًا وَإناثًا عَلى صُوَرٍ مُعَيَّنَةٍ في أرْحامِ أمَّهاتِكُمْ كَيفَ يَشاءُ، بتَبايُنِ ألْسِنَتِكُمْ، وَألْوانِكُم، وَأحْجامِكُمْ، وَمَلامِحِكُمْ، وَمَواهِبِكُم، وَطبائعِكُمْ، إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصُّوَرِ المُخْتَلِفَةِ.

وَاللهُ تَعالى ذَكَرَ لَنا أطْوارَ خَلْقِ الإنْسانِ، فَقالَ سُبْحانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ مَا نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾. وَقالَ سُبحانَهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَذَكَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هذهِ الأطْوارَ كما في حَديثِ ابنِ مَسْعودٍ قالَ: «إنَّ أحدَكُم يُجمَعُ خَلقُهُ في بَطْنِ أمِّهِ أربَعينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكونُ في ذلِكَ عَلقةً مِثْلَ ذلِكَ، ثمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثمَّ يُرسَلُ المَلَكُ، فيَنفُخُ فيهِ الرُّوحَ، وَيُؤمَرُ بأرْبَعِ كلِماتٍ: يَكتبُ رِزْقَهُ وَأجَلَهُ وَعَملَهُ وَشَقِيٌّ أوْ سَعيدٌ»(١).

﴿لا إلَهَ إلّا هُوَ﴾ أيْ: لا مَعبودَ بِحَقٍّ إلّا هُوَ سُبْحانَهُ؛ فَهُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبادَةِ، وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ. ﴿العَزيزُ﴾ وَهُوَ مِنْ أسْماءِ اللهِ تَعالى الحُسْنى كَما تَقَدَّمَ، وَمَعْناهُ: القَوِيُّ الشَّديدُ، الغالِبُ الذي لا يُغالَبُ. ﴿الحَكيمُ﴾ في أفْعالِهِ وَأقْوالِهِ وَأقْدارِهِ، فَيَضَعَ الأمورَ في مَحالِّها بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَهُوَ مِنْ أسْماءِ اللهِ الحُسْنى، قالَ ابنُ كَثير -رَحِمَهُ اللهُ: "وَهَذِهِ الآيَةُ فيها تَعْريضٌ، بَلْ تَصْريحٌ بِأنَّ عيسى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ مَخْلوقٌ، كَما خَلَقَ اللهُ سائرَ البشَرِ؛ لأنَّ اللهَ تَعالى صَوَّرَهُ في الرَّحِمِ وَخَلَقَهُ كَما يَشاءُ، فَكَيْفَ يَكونُ إلَهًا كما زَعِمَتْهُ النَّصارى - عليْهِمْ لَعائنُ اللهِ - وَقَدْ تَقَلَّبَ في الأحْشاءِ، وَتَنَقَّلَ مِنْ حالٍ إلى حالٍ، كَما قالَ تَعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ في بُطونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ في ظُلُماتٍ ثَلاث ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ لا إلَهَ إلّا هُوَ فَأنّى تُصْرَفونَ﴾"(٢). انْتَهى.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران: ٧].

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ محكماتٌ﴾ أيْ: اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ القُرآنَ مِنْهُ آياتٌ وَاضِحاتُ الدّلالَةِ، بَيِّناتٌ لا الْتِباسَ فيها وَلا اشْتِباهَ. ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتابِ﴾ أيْ هَذِهِ الآياتُ المُحْكَماتُ هنَّ أَصْلُ الكِتابِ، الَّذي يُعْتَمَدُ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَيْهِ، وَيُرَدُّ ما خالَفَهُ إِلَيْهِ. ﴿وَأُخَرُ﴾ أَيْ: آياتٌ أُخَرُ. ﴿مُتَشابِهاتٌ﴾ أيْ: تَخْفى مَعانِيْها عَلى أَكْثَرِ النّاسِ؛ لاحْتِمالِها أَكْثَرَ مِنْ مَعْنَى، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ القُرآنَ كُلَّهُ بِأَنَّهُ مُحْكَمٌ، كَما في بِدايَةِ سورَةِ هود: ﴿كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ﴾ بِمَعْنى: أَنَّهُ مُتْقَنٌ لا تَرى فيه خَلَلًا وَلا اضْطِرابًا وَلا عَيْبًا، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ مُتَشابِهٌ كَما في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَديثِ كِتابًا مُتَشابِهًا..﴾ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا في الحُسْنِ وَالصِّدْقِ وَالفَصاحَةِ وَالهِدايَةِ. ﴿فَأَمَّا الّذينَ في قُلوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ضَلالٌ، وَمَيْلٌ عَنِ الحَقِّ. ﴿فَيَتَّبِعونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ﴾ أيْ: يَتْرُكونَ المحْكَمَ الواضِحَ الدّلالَةِ، وَيَأخُذونَ بِالمتَشابِهِ لأَمْرَيْنِ: الأَوَّلُ: ﴿ابْتِغاءَ﴾ أيْ: طَلَبَ. ﴿الفِتْنَةِ﴾ بَيْنَ المؤمِنينَ وَتَشْكيكِهُمْ في دينِهِمْ، وَإِثارَةِ الشُّبُهاتِ في قُلوبِهِمْ، وَالثاني: ﴿وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أيْ تَفْسيرِهِ حَسبَ ما يَتَوافَقُ مَعَ أَهْوائِهِمْ وَشَهَواتِهِمْ، وَقَدْ حَذَّرَنا النَّبِيُّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ هَؤلاءِ؛ فَقالَ كَما في الصَّحيحَيْنِ وَغَيْرِهِما، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْها، قالت: تَلا رَسولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَذهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ قالَتْ: قالَ رَسولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ: «فإذا رَأَيْتِ الَّذينَ يَتَّبِعونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكِ الَّذينَ سَمَّى اللهُ، فاحذَرُوهُمْ».

﴿وَما يَعْلَمُ تَأويلَهُ إلّا اللهُ﴾ وَالتّأويلُ هُنا اخْتَلَفَ فيهِ أَهْلُ العِلْمِ بِناءً عَلى اخْتِلافِ القِراءَتَيْنِ، وَصْلًا وَوَقْفًا. وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿والرّاسِخونَ في العِلْمِ يَقولونَ آمَنّا بِهِ﴾ (وَالرَّاسِخونَ) الواوُ اسْتِئْنافِيَّةٌ، وَالرَّاسِخونَ: مَرْفوعٌ، مُبْتَدأٌ، وَخَبَرُهُ جُمْلَةُ: يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ؛ وَهذا على قِراءَةِ الوقْفِ على اسْمِ اللهِ تَعالى وَهِيَ الأَكْثَرُ؛ وَيَكونُ المعْنى: وَما يَعْلَمُ حَقيقَةَ مَعانِيَ هَذِهِ الآياتِ المُتَشابِهاتِ إِلَّا اللهُ تَعالى وَحْدَهُ؛ وَذَلِكَ كَحَقائِقِ صِفاتِ اللهِ وَكَيْفِيَّتِها، وَحَقائِقِ ما يَكونُ في يَوْمِ القِيامَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. أَمَّا الرَّاسِخونَ في العِلْمِ، فَيَقولونَ: آمَنَّا بِالمُتَشابِهِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ وَإِنْ لَمْ نَعْلَمْ تَأويلَهُ، تَكونُ الواوُ عاطِفَةً،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالرَّاسِخونَ مَرْفوعًا، عَطْفًا على لَفْظِ الجَلالَةِ، وَالتَّقْديرُ: وَما يَعلَمُ تَفْسيرَ المُتَشابِهِ إلَّا اللهُ وَالرَّاسِخونَ في العِلْمِ؛ فَيَكونَ المَقْصودُ بِالتَّأويلِ هُنا: التَّفْسيرَ، وَجُمْلَةُ ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ في مَحَلِّ نَصْبِ حال مِنَ (الرّاسخونَ)، أوْ خَبَرِ المُبْتَدَإِ (الراسِخونَ). ﴿وَما يَذَّكَّرُ إلّا أولو الألْبابِ﴾ ما يَتَّعِظُ بِالقُرآنِ إلاَّ ذَوو العُقولِ.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ العَظيمَةُ عَلى دَعْوَةٍ عَظيمَةٍ مِنْ أَعْظَمِ أَدْعِيَةِ القُرآنِ، أخبَرَ اللهُ تَعالى أنَّها من دُعاءِ عِبادِهِ العُلَماءِ، بَعْدَ أنْ تَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْهِمْ ورَفَعَ قَدْرَهُمْ بِالعِلْمِ وَالرّسوخِ فيهِ وَالإيمانِ بِهِ، فيَرجونَ ربَّهُمْ قائلينَ: ﴿رَبَّنا لا تُزِغْ قُلوبَنا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنا﴾ لِما عَرفوا مِنْ ضَعْفِ الإنْسانِ، وَكَوْنِهِ عُرْضَةً لِلتَّقَلُّبِ وَالزَّيْغِ، كما مَرَّ مَعَنا في الآيَةِ السَّابِقَةِ: الضّلالُ وَالمَيْلُ عَنِ الحَقِّ وَالهُدى بَعْدَ العِلْمِ بِهِ. ﴿وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ وَامْنَحْنا مِنْ فَضْلِكَ الكَريمِ رَحْمَةً وَاسِعَةً تُغنِيْنا بِها عَمَّنْ سِواكَ، وَأعْظَمُ وَأجَلُّ دَرَجاتِ الرَّحْمَةِ الثَّباتُ وَالاسْتِقامَةُ عَلى دينِهِ. ﴿إنَّكَ أنْتَ الوَهّابُ﴾ الوَهّابُ مِنْ أسْماءِ اللهِ تَعالى، وَمَعْناهُ: الّذي يَهَبُ وَيُعطي، وَيَجودُ عَلى خَلْقِهِ دونَ حِسابٍ، وَدونَ اسْتِحقاقٍ مِنْهُمْ، وَدونَ انتِظارِ العِوَضِ؛ فَهُوَ يُعطى العَبْدَ مِنْ خَيْرِهِ وَجُودِهِ وَإحْسانِهِ وَفْقَ حِكْمَتِهِ سُبْحانَهُ.

فَتَضَمَّنَ هَذا الدُّعاءُ العَظيمُ سُؤالَ اللَّهِ - تَعالى - الثباتَ على الدّينِ القَويمِ، وَالصِّراطِ المُسْتَقيمِ، الّذي عَلَيْهِ النَّجاةُ في يَوْمِ القِيامَةِ، وَلا يَكونُ ذَلِكَ إلّا بِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ تَعالى لِلْعَبْدِ، نَسْألُ اللهَ المَنّانَ الكَريمَ الوَهّابَ مِنْ وَاسِعِ فَضْلِهِ الكَريمِ.

وَلِهَذا كانَ أكْثَرُ دُعاءِ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي على دينك»، كما جاءَ في سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ! قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ». فَتَلَا مُعَاذٌ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[1].

وَفِي الْبابِ عَنْ عَائِشَةَ، وَالنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، وَأَنَسٍ، وَجَابِرٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَنُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ قَالَ أَبُو عِيسَى: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَجاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ أَيْضًا، عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ - رَضِيَ اللهُ تَعالى عَنْهُ - قالَ: "كانَ رسولُ اللَّهِ، صلَّى اللَّهُ عليْهِ وَسلَّمَ، يُكثِرُ أنْ يقولَ: يا مقلِّبَ القلوبِ، ثبِّت قلبي على دينِكَ. فقلتُ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، آمنَّا بِكَ وَبِما جِئتَ بِهِ، فَهل تَخافُ عَلَينا؟ قالَ: «نعَمْ، إنَّ القلوبَ بَيْنَ إصبَعَينِ من أصابعِ اللَّهِ يقلِّبُها كيفَ شاءَ»"[2].

❁ ❁ ❁

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾ [آل عمران: ٩].

واصَلَ الرّاسِخونَ في العِلْمِ دُعاءَهمْ، فَقالوا: ﴿رَبَّنا إنَّكَ جامِعُ النّاسِ﴾ كُلِّهِم؛ مُؤمِنِهِمْ وَكافِرِهِمْ. ﴿لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شَكَّ فيه، وَهُوَ يَوْمُ القِيامَةِ؛ لِيَجْزِيَ الّذين أساءوا بِما عَمِلوا، وَيَجْزِيَ الّذين أحْسَنوا بِالحُسْنى. ﴿إنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الميعادَ﴾ يُحْتَمَلُ أنْ تَكونَ مِنْ كَلامِ الرّاسخينَ في العِلْمِ، وَيُحْتَمَلُ أنْ تَكونَ مِنَ اللهِ - تَعالى - تَصْديقًا لَهُمْ، وَتَأْييدًا لِكَلامِهِمْ.

❁ ❁ ❁

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠﴾

[آل عمران: ١٠].

أيْ: إنَّ الَّذينَ كَفَروا بِاللهِ، وَرُسولِهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَنْ تَنْفَعَهُمْ أمْوالُهُمْ وَلا

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٤٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَوْلادُهُمْ عِنْدَ اللهِ شَيْئًا، إذا نَزَلَتْ بِهِمْ عُقوبَةُ اللهِ. ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ أيْ: وَأولَئِكَ هُمْ حَطَبُ النَّارِ الَّذي تُسَعَّرُ بِهِ، وَهُمْ مُلازِمُونَ لَها دائمًا وَأبدًا؛ كَما قالَ تَعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران: ١١].

هَذِهِ الآيَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِما قَبْلَها، وَالمَعْنى: إنَّ الّذينَ كَفَروا بِاللهِ، وَرسولِهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، لَنْ تَنْفَعَهُمْ أمْوالُهُمْ وَلا أوْلادُهُمْ مِنْ عُقوبَةِ اللهِ إذا نَزَلَتْ بِهِمْ وَحَلَّتْ عَلَيْهِمْ، ودَأبُهُمْ في الكُفْرِ وَالتَّكْذيبِ كَدَأبِ آلِ فِرْعَوْنَ، وَمَن قَبْلَهُمْ مِنَ الأُمَمِ المُكذِّبَةِ بِاللهِ وَرُسُلِهِ؛ كَقَوْمِ نوحٍ، وَقَوْمِ هودٍ، وَغَيْرِهِمْ. ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أيْ: أَهْلَكَهُمُ اللهُ وَعاقَبَهُمْ بِسَبَبِ تَكْذيبِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ. ﴿واللهُ شديدُ العقاب﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢].

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَعْني: لِلْيَهودِ وَغَيْرِهِمْ. ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾: تُهْزَمونَ في الدُّنْيا. ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ في الْآخِرَةِ. ﴿إِلى جَهَنَّمَ﴾ ﴿وَبِئْسَ الْمِهادُ﴾: الْفِراشُ.

وَفي الآيَةِ تَهْديدٌ وَوعيدٌ لِلكُفّارِ، **وَفيها** أيضًا وَعْدٌ مِنَ اللهِ - تَعالى - لِلْمُؤمِنينَ بِالنَّصْرِ وَالتَّمْكينِ، إذا أخَذوا بِأسْبابِ النَّصْرِ الحَقيقيَّةِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى لَنا مِثالاً مُشاهَدًا يَدلُّ عَلى صِدْقِ ما أخْبَرَ بِهِ، فَقال:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾

[آل عمران: ١٣].

﴿قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ عَلامَةٌ عَظيمةٌ، وَدِلالةٌ وَاضِحَةٌ تَدُلُّ على صِدْقِ محمَّدٍ، صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأنَّ اللهَ تَعالى ناصِرُه وَمُؤيِّدُه، وَمُظْهِرٌ دينَهُ، وَهازِمٌ أعْداءَهُ. ﴿في فِئَتَيْنِ﴾ المُسْلِمينَ وَالمُشْرِكينَ. ﴿التَقَتَا﴾ اجْتَمَعَتا يَوْمَ بَدْرٍ لِلْقِتالِ. ﴿فئةٌ تُقاتِلُ في سَبيلِ اللهِ﴾ طائفَةٌ[1]. ﴿وأخرى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾ أيْ: يَرى المُؤمِنونَ الكافِرينَ ضِعفَيْهِمْ، وَلَكِنَّ اللهَ أيَّدَهُمْ بِنَصْرِهِ على قِلّةِ عَدَدِهِمْ، فَالفاعِلُ في ﴿تَرَوْنَهُمْ﴾ هُمُ المُؤمِنونَ، وَالمَفْعولُ بِهِ هُمُ الكُفّارُ، وَالضَّميرُ في مِثْلَيْهِمْ لِلْمُؤمنينَ. ﴿رَأيَ العَيْنِ﴾ نُصِبَ على أنَّهُ مَفْعولٌ مُطْلَقٌ، وَمَعْناهُ: رُؤيَةٌ حَقيقِيَّةٌ لا شَكَّ فيها. ﴿وَاللهُ يُؤيِّدُ﴾ يُقَوِّي. ﴿بِنَصْرِهِ﴾ بِالْغَلَبَةِ وَالحُجَّةِ مَنْ يَشاءُ. ﴿إنَّ في ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأولي الأبْصارِ﴾ لِذَوي العُقولِ.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾

[آل عمران: ١٤].

﴿زُيِّنَ﴾ حُسِّنَ وَجُمِّلَ. ﴿لِلنّاسِ﴾ اخْتِبارًا وَابْتِلاءً لَهُمْ. ﴿حُبُّ الشَّهَواتِ﴾ جَمْعُ: الشَّهْوَةِ، وَهي تَوَقانُ النَّفْسِ إلى الشَّيْءِ الّذي تُريدُهُ. ﴿مِنَ النِّساءِ﴾ وَبدَأ بِذِكْرِ النِّساءِ؛ لأنَّهُنَّ أكْثَرُ الفِتَنِ ضَرَرًا على الرِّجالِ، قالَ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - كَما في الصَّحيحَيْنِ، مِنْ حَديثِ أسامَةَ بْنِ زَيْدٍ: «ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أضَرَّ على الرِّجالِ مِنَ

(١) قَوْلُه ﴿فِئَةٌ﴾ خَبَرٌ لِمُبْتَدإٍ مَحْذوفٍ، تَقْديرُهُ: إحْداهُما، وَهُمُ المسْلِمونَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النِّساءِ»[(١)]. ﴿والبَنِينَ﴾ الأبْناءُ.﴿وَالقناطيرِ المُقَنْطَرَةِ﴾ الأمْوالُ الكَثيرَةُ. ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ﴾ الرَّاعية، وَقيلَ: هِيَ المُعَلَّمَةُ الحِسانُ. ﴿وَالأنْعامِ﴾ الإبلُ وَالبَقَرُ وَالغَنَمُ. ﴿وَالحَرْثِ﴾ وَهُوَ ما يُزْرَعُ وَيُغْرَسُ، ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ - تَعالى - أنَّ هَذِهِ الأشْياءَ مَتاعُ الدُّنْيا، وَهِيَ فانِيَةٌ زائلةٌ فَقالَ: ﴿ذَلِكَ مَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥].

﴿قُلْ أؤنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ الّذي ذَكَرْتُ مِمّا زُيِّنَ لَكُمْ في الدُّنْيا مِنَ الشَّهَواتِ؟ ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ رَبَّهُمْ؛ بِفِعْلِ الأوامِرِ، وَاجْتِنابِ النَّواهي. ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَقَوْلُهُ ﴿جَنَّاتٌ﴾ مُبْتَدَأ مُؤَخَّرٌ، وَعلى هَذا يَكونُ مُنْتَهى الاسْتِفهامِ عِنْدَ قَوْلِه ﴿مِنْ ذلِكُمْ﴾، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ الاسْتِفْهامَ مُنْتَهِيًا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ثُمَّ يَبْتَدِئ، فيَقْرَأ ﴿جَنّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ﴾ وَالأقْرَبُ الأوَّلُ، وَهُوَ الّذي عَلَيْهِ عامَّةُ القُرّاءِ، وَاللهُ أعْلَمُ. ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ مِنْ كُلِّ أذًى. ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ وَهَذا مِنْ أعْظَمِ النَّعيمِ، نَسْألُ اللهَ تَعالى الكَريمَ مِنْ فَضْلِهِ.

وعَنْ أبي سَعيدٍ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ -: «إنَّ اللهَ تَعالى يَقولُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ، فَيَقولُ: هَلْ رَضيتُمْ؟ فيَقُولُونَ: وَما لَنا لا نَرْضى يا رَبُّ، وَقَدْ أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقولُ: ألا أعْطيكُمْ أفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيقولونَ: يا رَبُّ، وَأيُّ شَيْءٍ

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٤٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيقولُ: أحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْواني فَلا أسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أبَدًا»[(١)].

﴿وَاللَّهُ بَصيرٌ بِالعِبادِ﴾ أيْ: مُطَّلِعٌ على أحْوالِ عِبادِهِ؛ وَسَيُجازي كُلًّا مِنْهُمْ على عَمَلِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعالى دَعَواتِ هَؤلاءِ المُتَّقينَ، وَأثْنى عَلَيْهِمْ بِذِكْرِ صِفاتِهِمْ، فَقالَ:

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝١٦ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۝١٧﴾ [آل عمران: ١٦ – ١٧].

﴿الّذينَ يَقولونَ﴾ أيْ: المُتَّقينَ الّذينَ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِدُخولِ الجَنَّةِ يَقولونَ ﴿ربَّنا إنَّنا آمَنّا فاغْفِرْ لَنا ذُنوبَنا﴾ أيْ: اسْتُرْها عَلَيْنا، وَتَجاوزْ عَنّا ﴿وَقِنا﴾ أيْ: وَادْفَعْ عَنّا ﴿عَذابَ النّارِ﴾ ثُمَّ وَصفَهُمُ اللهُ تَعالى بِخَمْسِ صِفاتٍ فَقالَ:

﴿الصّابِرينَ﴾[(٢)] أيْ: الصّابِرينَ عَلى فِعْلِ ما أمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَتَرْكِ ما نَهاهُمْ عَنْهُ، وَعَلى ما يُصيبُهُمْ مِنْ أقْدارِ اللهِ المُؤلِمَةِ ﴿والصّادِقينَ﴾ في إيمانِهِمْ وَأقْوالِهِمْ ﴿والقانِتينَ﴾ المُداوِمينَ عَلى طاعَةِ اللهِ تَعالى. ﴿والمُنْفِقينَ﴾ أمْوالَهُمْ في سُبُلِ الخَيْرِ، وَيَدْخُلُ فيه الزَّكاةُ المَفْروضَةُ، وَصَدَقَةُ التَّطَوُّعِ. ﴿وَالمُسْتَغْفِرينَ بِالأسْحارِ﴾ وَالسَّحَرُ: آخِرُ اللَّيلِ قُبَيْلِ الصُّبْحِ، وَقيلَ: هُوَ مِنْ ثُلُثِ اللَّيلِ الأخيرِ إلى طُلوعِ الفَجْرِ، **وَالآيَةُ تدُلُّ** على فَضيلَةِ الاسْتِغفارِ في هَذا الوَقتِ العَظيمِ؛ جاءَ في الصَّحيحَيْنِ، عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبِيَّ – صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قالَ: «ينزل رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»[(٣)]. وَاتَّفَقَ أهْلُ السُّنَّةِ على تَلَقّي هَذا الحَديثِ بِالقَبولِ، وَهُوَ نُزولٌ حَقيقيٌّ يَليقُ بِجَلالِهِ وَعَظَمَتِهِ؛ فَهُوَ –

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٢) مَنْصوبٌ على المِدْحِ بِفِعْلٍ مَحْذوفٍ، وَما بَعْدَهُ عَطْفٌ عَلَيْهِ.

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سُبْحانَهُ- يَنْزِلُ كَيْفَ شاءَ، مَتى شاءَ، سُبْحانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ، وَأمّا كَيْفِيَّةُ نُزولِهِ فَلا يَعْلَمُهُ إلّا هُوَ سُبْحانَهُ وَتَعالى، كَما قالَ الإمامُ مالِكٌ: "الاسْتِواءُ مَعْلومٌ، وَالكَيْفُ مَجْهولٌ، وَالإيمانُ بِهِ وَاجِبٌ".

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿شَهِدَ اللهُ﴾ بَيَّنَ - تَعالى - وَأظْهَرَ لِعِبادِهِ بِما نَصَبَ مِنَ الأدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالكَوْنِيَّةِ عَلى ﴿أنَّه لا إلَهَ إلّا هُوَ﴾ أيْ: لا مَعْبودَ بِحَقٍّ سِواهُ، وَأنَّهُ تَعالى هُوَ المُنْفَرِدُ بِتَوْحيدِ الألوهِيَّةِ. ﴿والمَلائكَةُ﴾ أيْ: وَأقَرَّتِ المَلائكَةُ بِتَوْحيدِ الألوهِيَّةِ؛ فَشَهِدَتْ أنَّهُ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبادَةِ، وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ. ﴿وَأولو العِلْمِ﴾ أيْ: وَشَهِدَ أيْضًا أهْلُ العِلْمِ على ذَلِكَ، **وَفي هَذِهِ الآيَةِ** مَنْقَبَةٌ عَظيمَةٌ، وَمَنْزِلَةٌ كَبيرَةٌ لِلْمَلائكَةِ وَلأُولي العِلْمِ، وَأنَّ اللهَ اسْتَشْهَدَهُمْ على أعْظَمِ مَشْهودٍ؛ لأنَّهُمْ يَعْلَمونَ ذَلِكَ، وَهُمْ عُدولٌ. ﴿قائمًا﴾ حالٌ مَنْصوبَةٌ ﴿بِالقِسْطِ﴾ أيْ: بِالعَدْلِ. ﴿لا إلَهَ إلّا هُوَ﴾ كَرَّرَ التَّهْليلَ لِلتَّأكيدِ. ﴿العَزيزُ الحَكيمُ﴾ تَقَدَّمَ المَعْنى، فَجَدّدَ بِهِ عَهْدًا.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿إنَّ الدّينَ عِنْدَ اللهِ الإسْلامُ﴾ إنَّ الدّينَ الحَقَّ المَرْضِيَّ عِنْدَ اللهِ، هُوَ الإسْلامُ الذّي جاءَ بِهِ الرُّسُلُ -عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-، وَخُتِموا بِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلا يُمْكِنُ أنْ يُقْبَلَ مِنْ أحَدٍ بَعْدَ بَعْثَتِهِ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- دِينًا سِواهُ، كَما قالَ تَعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا﴾، وَقالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، وَقالَ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- كَما في حَديثِ أبي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ! لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأمَّةِ، يَهودِيٌّ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَلا نَصْرانِيٌّ، ثُمَّ يَموتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذي أُرْسِلْتُ بِهِ، إلّا كانَ مِنْ أهْلِ النّارِ»[(١)]، فَأرْسَلَهُ لِلنّاسِ كافَّةً، فَلا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أحَدٍ دينًا بَعْدَهُ إلّا الإسْلامَ، الّذي جاءَ بِهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالمُؤمِنونَ مِنْ أتْباعِ الأنْبياءِ السّابِقينَ كُلُّهُمْ كانوا مُسْلِمينَ بِالمَعْنى العامِّ، يَدْخُلونَ الجَنَّةَ بِإسْلامِهِمْ، فَإذا أدْرَكَ أحَدُهُمْ مَبْعَثَ النَّبِيِّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ إلّا اتِّباعُهُ، وَأجْمَعَ العُلَماءُ عَلى أنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَيَتَّبِعْ ما جاءَ بِهِ، فَهُوَ كافِرٌ وَمِنْ أهْلِ النّارِ، سَواءٌ كانَ يَهودِيًّا أمْ نَصْرانِيًّا أمْ غَيْرَ ذَلِكَ؛ لأنَّ رِسالَتَهُ –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عامَّةٌ لِجَميعِ الثَّقَلَيْنِ الجِنِّ وَالإنْسِ وَالعَرَبِ وَالعَجَمِ، قالَ تَعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، وَقالَ تَعالى: ﴿وما أرْسَلْناكَ إلّا رَحْمَةً لِلْعالَمينَ﴾. وَفي الصَّحيحَيْنِ، عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنَّهُ قالَ: «أُعْطيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلي...»، وَذَكَرَ مِنْها: «.. وَكانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى النّاسِ عامَّةً»[(٢)].

وَعَنْ أنَسِ بْنِ مالِكٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "أَنَّ غُلَامًا مِنَ اليَهُودِ كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِندَ رَأسِهِ، فَقَالَ: أَسْلِمْ. فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِندَ رَأسِهِ، فَقَالَ لَه: أَطِع أَبَا القَاسِمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ؛ فَأَسلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمدُ لِلَّهِ الذِي أَنقَذَهُ مِنَ النَّارِ»[(٣)]. وَالأدِلَّةُ على ذَلِكَ كَثيرَةٌ، وَما ذُكِرَ فيه كِفايَةٌ لِمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ وَ أنارَ قَلْبَهُ، وَالإسْلامُ هُوَ الاسْتِسلامُ للهِ بِالتَّوْحيدِ، وَالانْقيادُ لَهُ بِالطّاعَةِ، وَالبَراءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأهْلِهِ. ﴿وَما اخْتَلَفَ الذَينَ أوتوا الكِتابَ﴾ أَيْ: اليَهودُ

(١) أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٥٣).

(٢) أخْرَجَهُ البخاري (٣٣٥) واللفظ له، ومُسْلِمٌ (٥٢١).

(٣) أخْرَجَهُ البخاري (١٣٥٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالنَّصارى؛ لَمْ يَخْتَلِفوا في صِدْقِ نُبُوَّةِ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ﴿إِلّا مِنْ بَعْدِ مَا جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ يَعْني: إلّا مِنْ بَعْدِ أنْ عَلِموا بِأنَّ ما جاءَهُمْ بِهِ هُوَ الحَقُّ الّذي لا باطِلَ مَعَهُ، فَخِلافُهُمْ لَمْ يَكُنْ عَنْ جَهْلٍ مِنْهُمْ بِأنَّ ما جاءَهُمْ بِهِ هُوَ الحَقُّ، وَإنَّما كانَ سَبَبُهُ البَغْيَ، وَالحَسَدَ، وَالظُّلْمَ فيما بَيْنَهُمْ، وَحُبَّ الرِّياسَةِ وَالدُّنْيا. ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ فَإنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

[آل عمران: ٢٠].

﴿فَإنْ حاجّوكَ﴾ أَيْ: جادَلُوكَ. ﴿فَقُلْ أسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ﴾ أَيْ: اسْتَسْلَمْتُ لِلهِ بِالتَّوْحيدِ، وَانْقَدْتُ لَهُ بِالطاعَةِ. ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ كَذَلِكَ، كَما قالَ تَعالى في سورَةِ يوسُفُ:﴿قُلْ هَذِهِ سَبيلي أدْعو إلى اللهِ على بَصيرَةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعني وَسُبْحانَ اللهِ وَما أنا مِنَ المُشرِكينَ﴾ ﴿وَقُلْ للّذينَ أوتوا الكِتابَ وَالأُمِّيّينَ﴾ يَعْني: العَرَبَ. ﴿أأسْلَمْتُمْ﴾ اسْتِفْهامٌ مَعْناهُ الأمْرُ؛ أَيْ: أسْلِموا. ﴿فَإنْ أسْلَموا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ أَيْ: إنْ أسْلَموا وَدخَلوا في دينِ اللهِ تَعالى، فَقَدِ اهْتَدَوْا إلى الحَقِّ وَالهُدى وَالنّورِ. ﴿وَإنْ تَوَلَّوْا فَإنَّما عَلَيْكَ البَلاغُ﴾ أَيْ: إنْ أعْرَضوا، وَلَمْ يَشْهَدوا أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ؛ فَحِسابُهُمْ على اللهِ، وَالنَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلامُ- عَلَيْهِ البَلاغُ وَالبَيانُ وَالإرْشادُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ هِدايَتُهُمْ، كَما قالَ تَعالى في سُورَةِ الرَّعْد: ﴿إنَّما عَلَيْكَ البَلاغُ وَعَلَيْنا الحِسابُ﴾، وَقالَ تَعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ﴾، وَقالَ تَعالى: ﴿إنَّكَ لا تَهْدي مَنْ أحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدي مَنْ يَشاءُ﴾، ﴿وَاللهُ بَصيرٌ بِالعِبادِ﴾ عالِمٌ بِمَنْ أسْلَمَ وَدخَلَ في دينِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذلِكَ.

وَهَذِهِ الآيَةُ ـ كَما قالَ الإمامُ الحافِظُ ابْنُ كَثيرٍ، رَحِمَهُ اللهُ رحمة وَاسعة: "مِنْ أصْرَحِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدّلَالَاتِ على عُمومِ بِعْثَتِهِ، صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ، إلى جَميعِ الخَلْقِ، كَما هُوَ مَعْلومٌ مِنْ دينِهِ ضَرورَةً، وَكَما دَلَّ عَلَيْهِ الكِتابُ وَالسُّنَّةُ في غَيْرِ ما آيَةٍ وَحَديثٍ"[١].

وَقَدْ سَبَقَ الكَلامُ حَوْلَ هَذِهِ المَسْأَلَةِ العَظيمةِ في الآيَةِ السّابِقَةِ، وَاللهُ أعْلَمُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢﴾[آل عمران:٢١ -٢٢-] .

قَوْلُه تَعالى ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ أيْ: وَيَقتُلونَ الَّذينَ يَأمُرونَ بِالعَدلِ مِنَ النَّاسِ؛ وَهُوَ الأمْرُ بِالمَعْروفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ. ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أليمٍ﴾ **وَالآيَةُ فيها** -كَما قالَ الإمامُ القُرْطُبِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ: "دلالَةٌ على أنَّ الأمْرَ بِالمَعْروفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ كانَ وَاجِبًا في الأُمَمِ المُتَقَدِّمَةِ، وَهُوَ فائدَةُ الرِّسالَةِ وَخِلافَةُ النُّبُوَّةِ"[٢].

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾ [آل عمران: ٢٣].

أخْبَرَ اللهُ تَعالى، في هَذِهِ الآيَةِ عَنْ طائفَةٍ مِنَ اليَهودِ، الّذينَ أعْطاهُمُ اللهُ حَظًّا مِنَ العِلْمِ بِالتَّوْراةِ، أنَّهُمْ دُعُوا في عَهْدِ النَّبِيِّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلتَّحاكُمِ إلى التَّوْراةِ، في بَعْضِ ما تَنازَعوا فيهِ مَعَ رَسولِ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-؛ فأبَوْا أنْ يَسْتَجيبوا، كَما هُوَ شَأنُهُمْ وَعادَتُهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ مَثلًا ما ثَبَتَ في الصَّحيحَيْنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: "جَاءَتِ الْيَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٢٦).

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ٤٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟ فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ! إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، ثُمَّ قَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ! فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ. فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُجِمَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَحْنِي عَلَى الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ"[1]. ﴿ثُمَّ تَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: كُلُّهُمْ؛ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلامٍ وَغَيْرِهُ، وَهَذا مِنْ إِنْصافِ القُرآنِ العَظِيمِ. ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ الجُمْلَةُ في مَحَلِّ نَصْبٍ على الحالِ، وَالمَعْنى: وَالحالُ أَنَّهُمْ قَوْمٌ دَيْدَنُهُمْ الإِعْراضُ وَالانْصِرافُ عَنِ الحَقِّ، وَعَدَمُ الاسْتِجابَةِ لِلّهِ وَرَسولِهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ ۞ ۞

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

[آل عمران: ٢٤].

﴿ذَلِكَ﴾ أَيْ: ذَلِكَ الإِعْراضَ عَنِ التَّحاكُمِ إلى التَّوْراةِ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ﴾ أَيْ غَشَّهُمْ وَخَدَعَهُمْ. ﴿فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وَمِنْ جُمْلَةِ ما كانوا يَفْتَرونَهُ قَوْلُهُمْ: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ وَقَوْلُهُمْ: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ وَقَوْلُهُمْ: ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

ثُمَّ قالَ تَعالى مُتَوَعِّدًا إيّاهُمْ:

۞ ۞ ۞

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

[آل عمران: ٢٥].

﴿فَكَيْفَ﴾ يَكونُ حالُهُمْ وَمَوْقِفُهُمْ؟ ﴿إذا جَمَعْناهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ﴾ لا شَكَّ

(١) أخرجه البخاري (٦٨٤١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فيهِ﴾ وَهُوَ يَوْمُ القِيامَةِ. ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ﴾ عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ أوْ شَرٍّ. ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمونَ﴾ بِنَقْصِ حَسَنَةٍ، أوْ زِيادَةِ سَيِّئَةٍ.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

﴿قلْ﴾ يا مُحَمَّدُ: ﴿اللَّهُمَّ﴾ مُنادى مُفْرَدٌ عَلَمٌ، وَالميمُ المشَدَّدَةُ عِوَضًا عَنْ حَرْفِ النِّداءِ "يا" لا مَحَلَّ لَها، وَمَعْناهُ: يا اللهُ! ﴿مالِكَ المُلْكِ﴾ مُنادى ثانٍ حُذِفَ مِنْهُ حَرْفُ النِّداءِ، وَالمعْنى: يا مالِكَ المُلْكِ كُلِّهِ، مُلْكِ السَّمواتِ وَالأرْضِ. ﴿تُؤْتِي﴾ تُعْطي. ﴿الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ﴾ تَسْلبُ. ﴿المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ﴾ بِطاعَتِكَ، كَما قالَ تَعالى: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أيْ: مَنْ كانَ يَطْلُبُ العِزَّةَ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ فَلْيَطْلُبْها بِطاعَةِ اللهِ، وَتَكْمِلَةُ الآيَةِ تَدُلُّ على ذَلِكَ. ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ﴾ بِمَعْصِيَتِكَ. ﴿بِيَدِكَ الخَيْرُ﴾ كَما قالَ النَّبِيُّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في دُعاءِ الاسْتِفْتاحِ المَشْهورِ: «وَالخَيْرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إلَيْكَ»[1]، وَالمَعْنى: الإقرارُ بِأنَّ كلَّ خيرٍ وَاصلٍ إلى العِبادِ هُوَ في يَدَيْهِ تَعالى، وَلا يُدرَكُ مِنْهُ شَيْءٌ ما لَمْ تَسْبِقْ بِهِ كَلِمَتُهُ. ﴿إنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدير﴾.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٧].

﴿تولِجُ﴾ تُدْخِلُ. ﴿اللَّيْلَ في النَّهارِ﴾ فَيَطولُ وَقْتُهُ، حتى يَكونَ خَمْسَ عَشْرَةَ ساعَةً وَهُوَ أطْوَلُ ما يَكونُ، وَالليلُ تِسعَ ساعاتٍ وَهُوَ أقْصَرُ ما يَكونُ. ﴿وَتولِجُ﴾ تُدْخِلُ النَّهارَ في اللَّيْلِ حتى يَكونَ خَمْسَ عَشْرَةَ ساعةً، وَالنهارُ تِسْعَ ساعاتٍ، فَما

(١) أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٧٧١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نَقَصَ مِنْ أَحَدِهِمَا زَادَ فِي الْآخَرِ؛ لِيُقِيمَ بِذَلِكَ مَصالِحَ العِبادِ. ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الحيِّ﴾ هَذا مِنْ آياتِ اللهِ، وَمِنْ دَلائِلِ قُدْرَتِهِ العَظِيمَةِ سُبحانَه وَتَعالى؛ فَمَثلا يُخْرِجُ سُبْحانَهُ النُّطْفَةَ وَهِيَ مَيِّتَةٌ مِنَ الإنْسانِ الحَيِّ، وَيُخْرِجُ الإنْسانَ الحَيَّ مِنَ النُّطْفَةِ المَيِّتَةِ، وَيُخْرِجُ المؤمِنَ مِنَ الكافِرِ، وَالكافِرَ مِنَ المؤمِنِ. ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ نَظِيرِه في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ كانَ النّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فَأغْنى ذَلِكَ عَنْ إعادَتِهِ هُنا.

۞ ۞ ۞

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨].

﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنونَ الْكافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ﴾ أيْ: أنْصارًا وَأعْوانًا مِنْ غَيْرِ المُؤْمِنِينَ، وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا مَفْهومَ لَهُ، وَقَدْ جاءتْ نُصوصٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا في النَّهيِ عَنْ مُوالاةِ الكُفّارِ مُطْلَقًا، ذَكَرَها الشَّيْخُ سُلَيْمانُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِالوهّابِ، في رِسالَتِهِ القَيِّمَةِ (الدَّلائلُ في حُكْمِ مُوالاةِ أَهْلِ الإشْراكِ) [(١)]، منها قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿مَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ...﴾، وَالآياتُ في هَذا كَثِيرةٌ. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أيْ: يُواليهِمْ وَيَتَّخِذْهُمْ أنْصارًا وَأعْوانًا. ﴿فَلَيْسَ مِنْ﴾ دينِ ﴿اللهِ في شَيْءٍ﴾ أيْ: قَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ وَفارَقَ دينَهُ، ثُمَّ اسْتَثْنى فَقالَ: ﴿إلّا أَنْ تَتَّقوا مِنْهُمْ تُقاةً﴾ أيْ: تَقِيَةً، وَهَذا في المُؤْمِنِ إذا كانَ في قَوْمٍ كفّارٍ، وَخافَهُمْ عَلى مالِهِ وَنَفْسِهِ؛ فَلَهُ أنْ يُخالِفَهُمْ وَيُداريهِمْ بِاللِّسانِ، وَقَلْبُه مُطْمَئِنٌّ بِالإيمانِ؛ دِفاعًا عَنْ نَفْسِهِ مَعَ إضْمارِ العَداوَةِ وَالبُغْضِ لَهُمْ، قالَ ابنُ عَبّاسٍ: "يُرِيدُ مُدارَاةً ظاهِرَةً"، وَقالَ أَيْضًا: "هُوَ أنْ يَتَكَلَّمَ بِلِسانِهِ، وَقَلْبُهُ

(١) انظر: الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك (ص: ٣٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُطْمَئِنٌ بِالإيمانِ، وَلا يَقْتُلُ وَلا يَأْتِي مَأْثَمًا". ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ أيْ: يُخَوِّفُكُمُ اللهُ عُقوبَتَهُ بِمُوالاةِ الكُفّارِ، وَخَصَّصَهُ بِنَفْسِهِ تَعْظيمًا لَهُ. ﴿وَإلى اللهِ المَصيرُ﴾ الرُّجوعُ والمُنْتَهى.

۞ ۞ ۞

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٩].

﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا﴾ أيْ: تُسِرّوا. ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ أيْ: قُلوبِكُمْ، وَالقَلْبُ في الصَّدْرِ، كَما قالَ اللهُ تَعالى: ﴿فَإِنَّها لا تَعْمى الأبْصارُ وَلَكِنْ تَعْمى القُلوبُ الَّتي في الصُّدورِ﴾، ﴿أَوْ تُبْدوهُ﴾ أيْ: تُظْهِروهُ مِنْ مُوالاةٍ لِلْكُفّارِ، وَغَيْرِها مِمّا نَهاكُمُ اللهُ عَنْهُ. ﴿يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ ما في السَّماواتِ وَما في الأرْضِ﴾ مِمّا هُوَ أعَمُّ مِنَ الَّذي يُخْفونَهُ أوْ يُبْدونَهُ. ﴿وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ نُصِبَ يَوْمَ بِإضْمارِ فِعْلٍ، أيْ: اتَّقُوا يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ. ﴿ما عَمِلَتْ﴾ أيْ: جَزاءَ ما عَمِلَتْ؛ فَإنْ عَمِلَتْ خَيْرًا وَجَدَتْ خَيْرًا، وَإنْ عَمِلَتْ شَرًّا وَجَدَتْ شَرًّا، قالَ تَعالى: ﴿وَوَجَدُوا ما عَمِلوا حاضِرًا﴾. وَقَوْلُه تَعالى: ﴿مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ أيْ: كامِلًا مَوْفورًا. ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أمَدًا بَعِيدًا﴾ مَسافَةً بَعيدَةً. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ فيها مِنَ التَّرْهيبِ ما تَنْخَلِعُ لَهُ القُلوبُ، وَتَرْتَعِدُ مِنْهُ الأجْسادُ، وَتَقْشَعِرُّ مِنْهُ الجُلودُ؛ خَوْفًا وَاضْطِرابًا. ﴿وَاللهُ رَءوفٌ بِالعِبادِ﴾ فيها تَرْغيبٌ؛ فَإنَّهُ تَعالى مَعَ قُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ وَرَهْبَتِهِ، رَؤوفٌ رَحيمٌ بِعبادِهِ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِهِمْ أنَّهُ حَذَّرَهُمْ وَخَوَّفَهُمْ.

۞ ۞ ۞

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

[آل عمران: ٣١].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قالَ الحافِظُ ابْنُ كَثيرٍ، رَحِمَهُ اللهُ: "هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ حاكِمَةٌ عَلى كُلِّ مَنِ ادَّعى مَحَبَّةَ اللهِ، وَلَيْسَ هُوَ عَلى الطَّرِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ كاذِبٌ في دَعْواهُ في نَفْسِ الأَمْرِ، حتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ المُحَمَّديَّ وَالدِّينَ النَّبَوِيَّ في جَمِيعِ أَقْوالِهِ وَأَحْوالِهِ؛ كَما ثَبَتَ في الصَّحِيحِ عَنْ رَسولِ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[1]، وَلِهَذا قالَ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ أَيْ: يَحْصُلْ لَكُمْ فَوْقَ ما طَلَبْتُمْ مِنْ مَحَبَّتِكُمْ إِيَّاهُ، وَهُوَ مَحَبَّتُهُ إِيَّاكُمْ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الأَوَّلِ، كَما قالَ بَعْضُ الحُكَماءِ العُلَماءِ: "لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ، إِنَّما الشَّأْنُ أَنْ تُحَبَّ"، وَقالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ، وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ: "زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللهَ فابْتَلاهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الآيَةِ، فقالَ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[2]".

وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿فَاتَّبِعونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ دَليلٌ عَلى وُجوبِ المَحَبَّةِ وَعلامَتِها وَثَمَرَتِها، فَعَلامَتُها: اتِّباعُ الرَّسُولِ، وَثَمَرَتُها: مَحَبَّةُ اللهِ، وَهَذِهِ هِيَ الغايَةُ الَّتي يَسْعى لَها كُلُّ مُؤْمِنٍ، نَسْأَلُ اللهَ تَعالى بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ وَإِحْسانِهِ أَنْ يَجْعَلَنا مِنْ أَحْبابِهِ.

۞ ۞ ۞

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢].

﴿قُلْ أَطيعوا اللهَ وَالرَّسولَ﴾ بِالإيمانِ بِهِما، وَامْتِثالِ أَوامِرِهِما، وَاجْتِنابِ نواهيهِما. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الطَّاعَةِ وَأَعْرَضوا عَنْها. ﴿فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الكافِرينَ﴾ **وَفي الآيَةِ دَليلٌ** عَلى وُجوبِ طاعَةِ النَّبِيِّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاتِّباعِ شَريعَتِهِ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَّبِعْ شَريعَتَهُ فَهُوَ كافِرٌ، وَأَنَّ اللهَ تَعالى لا يُحِبُّهُ لِكُفْرِهِ.

۞ ۞ ۞

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٧١٨).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٣٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿* إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٣ – ٣٤].

﴿إنَّ اللهَ اصْطَفى﴾ اختارَ. ﴿آدَمَ وَنوحًا﴾ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسالَةِ. ﴿وَآلَ إبْراهيمَ﴾ أيْ: إسْماعِيلَ وَإسْحاقَ وَيَعْقوبَ وَالأسْباطَ؛ فَجَعَلَ النُّبُوَّةَ فيهِمْ، وَنَبِيُّنا – مُحَمَّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ آلِ إبْراهيمَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، وَهُوَ أفْضَلُهُمْ عَلى الإطْلاقِ. ﴿وَآلَ عِمْرانَ﴾ أيْ: عيسى ابْنَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرانَ، فَالمُرادُ بِعُمْرانَ: وَالِدُ مَرْيَمَ، عَلَيْهِما السَّلامُ. ﴿عَلى العالَمينَ﴾ عَلى أفْضَلِ زَمانِهِم.

﴿ذُرِّيَّةً﴾ بَدَلٌ مِنْ نوحٍ.. مَنْصوبٌ بِالفَتْحَةِ؛ أيْ: اصْطَفى ذُرِّيَّةً. ﴿بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ﴾ أيْ: بَعْضُهُمْ مِنْ نَسْلِ بَعْضٍ؛ لأنَّ الجَميعَ ذُرِّيَّةُ آدَمَ، ثُمَّ ذُرِّيَّةُ نوحٍ. ﴿وَاللهُ سَميعٌ﴾ لأقْوالِ عِبادِهِ. ﴿عَليمٌ﴾ بِأفْعالِهِمْ.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران: ٣٥].

﴿إذْ قالَتِ﴾[1]، ﴿امْرَأةُ عِمْرانَ إنِّي نَذَرْتُ لَكَ﴾ وَالنَّذْرُ: ما يوجِبُهُ المكَلّفُ عَلى نَفْسِهِ. ﴿ما في بَطْني مُحَرَّرًا﴾ عَتيقًا خالِصًا لِلَّهِ مُفَرَّغًا لِلْعِبادَةِ، وَلِخِدْمَةِ بَيْتِ المُقَدَّسِ، لا أشْغَلُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيا. ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إنَّكَ أنْتَ السَّميعُ العَليمُ﴾.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: ٣٦].

﴿فَلَمّا وَضَعَتْها﴾ لَمّا وَضَعَتْ ما في بَطْنِها، قالَتْ مُعْتَذِرَةً: يا ﴿رَبِّ إنِّي وَضَعْتُها أُنْثى﴾ وَمُرادُها إظْهارُ التَّحَسُّرِ لِما فاتَها مِنْ تَحْقيقِ النَّذْرِ الَّذي نَذَرَتْ بِهِ، حَيْثُ أتَتْ بِمَوْلودٍ لا يَصْلُحُ لِلْقِيامِ بِما نَذَرَتْه. ﴿وَاللهُ أعْلَمُ بِما وَضَعَتْ﴾ بِإسْكانِ التّاءِ إخْبارًا عَنِ

(١) العامِلُ فيهِ مَحْذوفٌ تَقْديرُهُ: اذْكُرْ أيُّها الرَّسولُ إذْ قالَتِ امْرَأةُ عِمْرانَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللهِ تَعالى، وَقُرِئَ بِالضَّمِّ، وَهُوَ عَلى هَذا مِنْ كَلامِ مَرْيَمَ عَلَيْها السَّلامُ. ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثى﴾ ﴿وَإِنِّي أُعِيذُها بِكَ﴾ أيْ: أمْنَعُها وَأُجيرُها بِكَ هِيَ ﴿وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ﴾ في الصَّحيحَيْن، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: "سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عليه وَسلَّمَ، يقولُ: «ما مِن بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِن مَسِّ الشَّيْطَانِ، غيرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا»، ثُمَّ يقولُ أَبو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾"[1]. **وَالحَديثُ فيهِ دلالةٌ** عَلى أنَّ اللهَ - تَعالى- اسْتَجابَ دُعاءَ أُمِّ مَرْيَمَ، عَلَيْها السَّلامُ.

۞ ۞ ۞

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

[آل عمران: ٣٧].

﴿فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبولٍ حَسَنٍ﴾ أيْ: قَبِلَ ذَلِكَ النَّذْرَ أحْسَنَ قَبولٍ، وَرَضِيَهُ. ﴿وَأَنْبَتَها نَباتًا حَسَنًا﴾ أيْ: رَبَّاها تَرْبِيَةً حَسَنَةً، فَكانَتْ صالِحَةً، عَفيفَةً، عارِفَةً بِاللهِ، مُطيعَةً لَهُ. ﴿وَكَفَّلَها﴾ اللهُ تَعالى ﴿زَكَرِيّا﴾. فَضَمَّها إلَيْهِ وَتَكَفَّلَ بِها. ﴿كُلَّما دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ وَهُوَ مَوْضِعُ خِلْوَتِها الَّذي كانَتْ تَتَعَبَّدُ اللهَ تَعالى فيهِ. ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزقًا﴾ أيْ: وَجَدَ عِنْدَها ما يَكْفيها مِنْ طَعامٍ طَيِّبٍ وَشَرابٍ، قالَ جَمْعٌ مِنَ المُفسِّرينَ: وَجَدَ عِنْدَها فاكِهَةَ الشِّتاءِ في الصَّيْفِ، وَفاكِهَةَ الصَّيْفِ في الشِّتاءِ، فَإذا رأى زَكَرِيّا هَذا عِنْدَها. ﴿قالَ يا مَرْيَمُ أنَّى لَكِ هَذا﴾ أيْ: يَقولُ مِنْ أيْنَ لَكِ هَذا؟ ﴿قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾، **وَفي الآيَةِ** أنَّ مِنْ أكْبَرِ أسْبابِ الرِّزْقِ لُزومَ المَساجِدِ؛ فَمَنْ ضاقَ بِهِ الرِّزْقُ فَلْيَلْزَمِ المَساجِدَ، وَلْيُعَلِّقْ قَلْبَهُ بِها.

۞ ۞ ۞

(١) أخْرَجَهُ البخاري (٣٤٣١)، ومُسْلِمٌ (٢٣٦٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾

[آل عمران:٣٨].

لَمّا رَأى زَكَرِيّا - عَلَيْهِ السَّلامُ -، أنَّ اللهَ تَعالى يَرْزُقُ مَرْيَمَ، عَلَيْها السَّلامُ، رِزْقًا بِغَيْرِ حِسابٍ؛ طَمَعَ حينَئذٍ في الوَلَدِ، وَتَوَجَه إلى اللهِ بِالدُّعاءِ قائلًا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ أيْ: مِنْ عِنْدِكَ. ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾. أيْ: مُبارَكَةً. ﴿إنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ﴾ لِمَنْ دَعاكَ.

۞ ۞ ۞

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران:٣٩].

﴿فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ﴾ أيْ: أنَّ يَحْيى كانَ مُصَدِّقا بِعيسى، وَمُؤْمِنًا بِأنَّهُ رَسولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مَرْيَمَ وَروحٌ مِنْهُ. ﴿وَسَيِّدًا﴾ شَريفًا، يَسودُ قَوْمَهُ بِالشَّرَفِ وَالتَّقْوى. ﴿وَحَصورًا﴾ حابِسًا نَفْسَهُ عَنِ الذُّنوبِ وَالشَّهَواتِ. ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصّالِحِينَ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾

[آل عمران:٤٠].

﴿قالَ﴾ زَكَرِيّا لَمَّا بُشِّر بِالوَلَدِ مُتَعَجِّبًا، وَمُسْتَبْعِدًا أنْ يَكونَ لَهُ وَلَدٌ مَعَ كِبَرِ سِنِّهِ: ﴿رَبِّ أنّى يَكونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الكِبَرُ﴾ أيْ: أصابَنِي الكِبَرُ وَالهَرَمُ. ﴿وَامْرَأَتِي عاقِرٌ﴾ عَقيمٌ لا تَلِدُ. ﴿قالَ كَذَلِكَ﴾ أيْ: مِثْل هَذا الأمْرِ العَظيمِ، وَهُوَ هِبَةُ الوَلَدِ عَلى الكِبَرِ. ﴿يَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ﴾ فَسُبْحانَ مَنْ لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ!.

۞ ۞ ۞

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران:٤١].

﴿قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أيْ: عَلامَةً عَلى حَمْلِ امْرَأتي، فقالَ اللهُ تَعالى لَه:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿آيَتُكَ أَنْ لا تُكَلِّمَ النّاسَ ثَلاثَةَ أيّامٍ﴾ أيْ: عَلامَتُكَ أَنْ تَجِدَ نَفْسَكَ عاجِزًا عَنْ كَلامِ النّاسِ، فَلا تَسْتَطِيعَ أنْ تُكَلِّمَ أحَدًا ثَلاثَةَ أيّامٍ. ﴿إلّا رَمْزًا﴾ أيْ: إشارَةً، وَكانَ مَعَ ذَلِكَ يَقْدِرُ عَلى التَّسْبِيحِ وَذِكْرِ اللهِ، وَهُوَ قَوْله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كثيرًا وَسبِّح بِالعَشِيِّ﴾ وَهُوَ مِنْ زَوالِ الشَّمْسِ إلى غُروبِها. ﴿وَالإبْكارِ﴾ وَهُوَ مِنْ طُلوعِ الفَجْرِ إلى الضُّحى.

۞ ۞ ۞

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾

[آل عمران:٤٢].

﴿وَإذْ قالَتِ المَلائكَةُ يا مَرْيَمُ إنَّ اللهَ اصْطَفاكِ﴾ أيْ: لِطاعَتِهِ. ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ. ﴿وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ العالَمينَ﴾ أيْ: اخْتارَكِ عَلى نِساءِ العالَمينَ، **وَفِي الآيَةِ دلالَةٌ** عَلى أنَّ مَرْيَمَ – عَلَيْها السَّلامُ – أفْضَلُ النِّساءِ جَمِيعًا. وَأخْرَجَ الإمامُ أحْمَدُ وَغَيْرُهُ، بِإسْنادٍ صَحِيحٍ، عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عائشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْها، أنَّها قالَتْ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها، بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا أُبَشِّرُكِ، أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَيِّدَاتُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَآسِيَةُ». وَمَرْيَمُ وَخَدِيجَةُ أفْضَلُ الأرْبَعِ، فَفي صَحِيحِ البُخارِيّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أبي طالِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قالَ: «خَيْرُ نِسائِها مَرْيَمُ، وَخَيْرُ نِسائِها خَدِيجَةُ»[(١)]. وَمَرْيَمُ هِيَ أفْضَلُ النِّساءِ عَلى الإطْلاقِ، كَما هُوَ صَرِيحُ الآيَةِ الَّتِي مَعَنا، وَرَوى الطَّبَرانِيُّ بِإسْنادٍ صَحِيحٍ عَلى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ جابِرٍ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيِّداتُ نِساءِ أهْلِ الجَنَّةِ بَعْدَ مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرانَ، فاطِمَةُ، وَخَدِيجَةُ، وَآسِيَةُ امْرَأةُ فِرْعَوْنَ»[(٢)]. وَمِمّا وَرَدَ في فَضْلِها أيْضًا: ما جاءَ في الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ حَدِيثِ أبِي مُوسَى، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) أخْرَجَهُ البخاري(٣٨١٥).

(٢) أخْرَجَهُ الطبراني في المعجم الكبير (١٢١٧٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»(١). وَأَهْلُ السُّنَّةِ مُتَّفِقونَ عَلَى فَضْلِ مَرْيَمَ وَآسِيَةَ وَفاطِمَةَ وَخَدِيجَةَ وَعائشَةَ، وَمُتَّفِقونَ أَيْضًا عَلَى أَنَّهُنَّ لَسْنَ سَواءً فِي الفَضْلِ. وَالمُرَجَّحُ – وَاللهُ تَعالى أَعْلَمُ – أَنَّ أَفْضَلَ النِّساءِ عَلَى الإِطْلاقِ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرانَ عَلَيْها السَّلامُ، وَأَفْضَلُ نِساءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَدِيجَةُ؛ لِحَدِيثِ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – المُتَقَدِّمِ، قالَ شَيْخُ الإِسْلامِ: "وَأَفْضَلُ نِساءِ هَذِهِ الأُمةِ خَدِيجَةُ وَعَائِشَةُ وَفَاطِمَةُ، وَفِي تَفْضِيلِ بَعْضِهِنَّ عَلَى بَعْضٍ نِزَاعٌ"(٢).

❁ ❁ ❁

﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [آل عمران:٤٣].

﴿يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ داوِمي عَلى طاعَةِ اللهِ تَعالى، وَقيلَ: القُنوتُ هُنا طولُ القِيامِ في الصَّلاةِ، وَقَدْ ثَبَتَ في الصَّحيحَيْنِ مِنْ حَديثِ جابِرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قالَ: "سُئِلَ رَسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّ الصَّلاةِ أَفْضَلُ؟ قالَ: «طولُ القُنوتِ»". وَقَدْ مَضى مَعْنى القُنوتِ في سورَةِ البقرة. ﴿وَاسْجُدي وَارْكَعي﴾ الواوُ لَا تَقْتَضي التَّرتيبَ. ﴿مَعَ الرّاكِعينَ﴾ أيْ: صلِّي مَعَ المُصَلِّينَ، وَهَذا إذْنٌ لَها بِالصَّلاةِ مَعَ الجَماعَةِ.

❁ ❁ ❁

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾ [آل عمران:٤٤].

قَوْلُهُ تَعالى ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾، يَقُولُ اللهُ تَعالى لِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَلِكَ الَّذي قَصَصْناهُ عَلَيْكَ مِنْ حَدِيثِ زَكَرِيَّا وَيَحْيى وَمَرْيَمَ – عَلَيْهِمُ

(١) أخْرَجَهُ البخاري(٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١).

(٢) الفتاوى (٤/٣٩٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السَّلامُ - مِنْ أَخْبَارِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ[١]. ﴿وما كُنْتَ﴾ يا مُحَمَّدُ. ﴿لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ﴾ سِهَامَهُمْ الَّتِي كانوا يَقْتَرِعونَ بِها، **وَفِي الآيَةِ دَلِيلٌ** عَلى جَوازِ القُرْعَةِ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي القُرْآنِ فِي مَوْضِعَيْنِ، هَذا المَوْضِع، وَالمَوْضِعُ الثّانِي قَوْلُهُ تَعالى فِي سورَةِ الصّافاتِ: ﴿فَساهَمَ فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾. وَوَرَدَ فِي السُّنَّةِ أَيْضًا ما يَدُلُّ عَلى جَوازِها، وَمِنْ ذَلِكَ ما ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ عائشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْها - قالَتْ: "كانَ رَسولُ الله، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا أرادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسائِهِ؛ فأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُها خَرَجَ بِها مَعَهُ"[٢]. ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أيْ: وَما كُنْتَ مَعَهُمْ إذْ يَخْتَصِمونَ فِي كَفالَتِها، أيُّهُمْ أحَقُّ وَأوْلى بِها، فأجْرَوا القُرْعَةَ بِإلْقاءِ سِهامِهِمْ فَقَرَعَهُمْ زَكَرِيّا. **وَفِي الآيَةِ** صِدْقُ نُبُوَّةِ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذْ أخْبَرَ، عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، بِهَذا الوَحْيِ وَهُوَ لَمْ يَشْهَدْهُ.

۞ ۞ ۞

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٤٥﴾ [آل عمران:٤٥].

﴿إذ قالَتِ الملائكَةُ يا مَرْيَمُ إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ أيْ: عيسى - عَلَيْهِ السَّلامُ - لأنَّهُ فِي ابْتِداءِ أمْرِهِ كانَ كَلِمَةً مِنَ اللهِ، وَكُوِّنَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أيْ: مِنَ اللهِ، وَإنَّما خُصَّ عيسى - عَلَيْهِ السَّلامُ - باسْمِ الكَلِمَةِ؛ لأنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ عَلى الوَجْهِ المعتادِ الَّذي خُلِقَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، بَلْ خَرَجَ عَنِ العادَةِ؛ فَخُلِقَ بِأمْرِ اللهِ التَّكْوِينِيِّ له. ﴿كُنْ﴾، وَهَذا هُوَ الكَلِمَةُ المذكورَةُ، وَلَمْ يُخْلَقْ مِنْ لِقاحِ الذَّكَرِ للأنْثى، كَما هِيَ سُنَّةُ اللهِ المعْروفَةُ فِي خَلْقِ البَشَرِ. ﴿اسْمُهُ المسيحُ عيسى ابْنُ مَرْيَمَ وَجيهًا﴾ أيْ: ذا وَجاهَةٍ عالِيَةٍ، وَقَدْرٍ رَفِيعٍ. ﴿فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾ عِنْدَ اللهِ فِي الدُّنْيا، وَيَوْمَ القِيامَةِ.

۞ ۞ ۞

(١) وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ﴾ مُبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهُ: ﴿مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ﴾.

(٢) أخْرَجَهُ البخاري (٢٥٩٣)، ومسلم (٢٧٧٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران:٤٦].

﴿وَيُكَلِّمُ النّاسَ في المَهْدِ﴾ أيْ: وَهُوَ رَضيعٌ في حِجْرِ أُمِّهِ. ﴿وَكهلًا﴾ أيْ: بَيْنَ الشَّبابِ وَالشَّيْخوخَةِ. ﴿وَمِنَ الصّالِحِينَ﴾ مِنْ جُمْلَتِهِمْ وَفي عِدادِهِمْ.

۞ ۞ ۞

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران:٤٧].

﴿قالَتْ﴾ مَرْيَمُ مُتَعَجِّبَةً وَمُسْتَبْعِدَةً: ﴿أنّى﴾ أيْ: كَيْفَ ﴿يَكونُ لي وَلَدٌ﴾ مِنْ غَيْرِ مَسيسِ بَشَرٍ؟ ﴿قالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أيْ: هَكَذا يَخْلُقُ اللهُ مِنْكِ وَلَدًا مِنْ غَيْرِ أنْ يَقْرَبَكِ بَشَرٌ؛ فَإنَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَصْنَعُ ما يُرِيدُ. ﴿إذا قَضى أمْرًا﴾ أيْ: إذا أرادَ شَيْئًا. ﴿فَإنَّما يَقولُ لَهُ كُنْ فيَكونُ﴾ فلا تَعَجُّبَ، وَلا اسْتِبْعادَ.

۞ ۞ ۞

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران:٤٨].

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ اللهُ تَعالى. ﴿الكِتابَ﴾ الكِتابَةَ وَالخَطَّ. ﴿وَالحِكْمَةَ﴾ الإصابَةَ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ. ﴿وَالتَّوْراةَ وَالإنْجيلَ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران:٤٩].

﴿وَرَسولًا إلى بَني إسْرائيلَ﴾[1]، ﴿أنّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أيْ: بِعَلامَةٍ عَلى صِدْقي، وَهِيَ ﴿أنّي أخْلُقُ﴾ أيْ: أجْعَلُ لَكُمْ مِنْ مادَّةِ ﴿الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيْرِ﴾ كَصورَتِهِ، ﴿فَأنْفُخُ فيهِ فيَكونُ طَيْرًا﴾ حَيًّا بِإذْنِ اللهِ. ﴿وَأُبرِئُ الأكْمَهَ﴾ وَهُوَ الَّذي وُلِدَ أعْمى. ﴿وَالأبْرَصَ﴾ أيْ: الَّذي بِهِ بَياضٌ في الجِلْدِ. ﴿وأُحيي المَوْتى بِإذْنِ اللهِ﴾

(١) (رَسولًا): مَفْعولٌ بِهِ لِفِعْلٍ مَحْذوفٍ أيْ: وَيَجْعَلُهُ رَسولًا إلى بَني إسْرائيلَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كَرَّرَها لِنَفْيِ تَوَهُّمِ الألوهِيَّةِ فيهِ، فَهِيَ تَدُلُّ دلالَةً وَاضِحَةً عَلى أَنَّهُ لَيْسَ في عيسى ألوهِيَّةٌ؛ فَهُوَ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - يُصَرِّحُ بِأَنَّ اللهَ تَعالى أَعْطاهُ هَذِهِ المُعْجزاتِ بِأَمْرِهِ وَإرادَتِهِ. ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلونَ وَما تَدَّخِرونَ في بُيوتِكُمْ إِنَّ في ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ﴾.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران: ٥٠].

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ الواوُ عاطِفَةٌ. ﴿وَمُصَدِّقًا﴾[1] ﴿لِما بَيْنَ يَدَيَّ﴾ أيْ: الكِتابَ الَّذي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلي. ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ مِنْ كُلِّ ذي ظُفُرٍ والشُّحومِ وَالشُّحومِ، فَأَحَلَّ لَهُم عيسى - عَلَيْهِ السَّلامُ - بَعْضًا من ذَلِكَ؛ تَخْفيفًا مِنَ اللهِ وَرَحْمَةً. ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أيْ: ما كانَ مَعَهُ مِنَ المُعْجِزاتِ وَالآياتِ الدَّالَّةِ عَلى صِدْقِ رِسالَتِهِ. ﴿فَاتَّقوا اللهَ﴾ أيْ: وَحِّدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكوا بِهِ شَيْئًا. ﴿وَأَطيعونِ﴾ أيْ: وَآمِنوا بي وَبِشَريعَتي.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [عمران: ٥١ - ٥٢].

﴿فَلَمّا أَحَسَّ﴾ أيْ: عَلِمَ وَرَأى. ﴿عيسى مِنْهُمُ الكُفْرَ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أرادوا قَتْلَهُ حينَ دَعاهُمْ إلى اللهِ تَعالى فَطَلَبَ النُّصْرَةَ. وَ﴿قالَ مَنْ أَنْصاري إِلَى اللهِ﴾ أيْ: مَنْ يَكونُ مَعِيَ في نُصْرَةِ دينِ اللهِ؟ ﴿قالَ الحَوارِيّونَ﴾ جَمْعُ حَوارِيّ، وَهُمْ خُلَصاؤُهُ وَأَنْصارُهُ، كَما في حَديثِ جابِرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: قالَ النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) حالٌ مِنْ فِعلٍ مَحْذوفٍ أيْ: وَجِئْتُكُمْ مُصَدِّقًا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوارِيًّا، وَإِنَّ حَوارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ العَوّامِ»(١). وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوارِيٌّ، وَحَوارِيَّ الزُّبَيْرُ»، وَمعْنى قَوْلِهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وحَوارِيَّ الزُّبَيْرُ» أيْ: خاصَّتي مِنْ أصْحابي وَناصِري. ﴿نَحْنُ أنْصارُ اللهِ﴾ أنْصارُ دينِهِ. ﴿آمَنّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأنّا مُسْلِمونَ﴾. وَقَدْ جاءَ عَنْ النَّبِيِّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنَّهُ كانَ يَقْرَأ هَذِهِ الآيَةَ في الرَّكْعَةِ الثّانِيَةِ مِنْ سُنَّةِ الفَجْرِ، فَرَوى الإمامُ مُسْلِمٌ في صَحيحِهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كانَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ فِي الْأُولَى مِنْهُمَا: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا...﴾، الآيَة الَّتي فِي [الْبَقَرَةِ:١٣٦]، وَفِي الْآخِرَةِ مِنْهُمَا:﴿آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ وَهي الآيَةُ الَّتي في [آلعمران:٥٢]. وَجاءَ عَنْهُ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - في صَحيحِ مُسْلِمٍ أَيْضًا، أَنَّهُ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الثّانِيَةِ: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ تَعالوا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ...﴾ الآيَة الَّتي في [آلعمران:٦٤](٢)، وَالأفْضَلُ في مِثْلِ ذَلِكَ: أنْ يَقْرَأَ المُصَلّي أحْيانًا بِهَذا، وَأحْيانًا بِهَذا؛ تَطْبيقًا لِلْسُّنَّةِ.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

﴿رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ﴾ مِنْ كِتابِكَ. ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ أيْ: أطَعْنا عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلامُ. ﴿فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ﴾ قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مَعَ مُحَمَّد صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتِهِ، لِأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ للرُّسُلِ بِالبَلاغِ، كَما جاءَ في صَحيحِ البُخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُدْعَى نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ يَوْمَ الْقِيامَةِ، فَيُقالَ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ؛ فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقالَ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ أَوْ مَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ، قالَ:

---

(١) أخْرَجَهُ البُخارِيُّ (٢٨٤٧).

(٢) أخْرَجَهُ مسلم (٧٢٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَيُقالَ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّد وَأُمَّتُهُ، قالَ: فَذَلِكَ قَوْله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قالَ: الْوَسَطُ الْعَدْلُ»[(١)]. وَزادَ الإمامُ أحْمَدُ: قالَ: «فَيُدْعَوْنَ فَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالْبَلاغِ، قالَ: ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ»[(٢)]. وَهَذا الدُّعاءُ مِنْ أدْعِيَةِ القُرآنِ النّافِعَةِ الَّتي يَنْبَغي للمُؤْمِن أنْ يَهْتَمَّ وَيَعْتَني بِها؛ لأنَّهُ جاءَ عَنْ خُلَصاءِ عيسى، عَلَيْهِ السَّلامُ، وَأنصارِهِ.

۞ ۞ ۞

﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران:٥٤].

﴿وَمَكَروا﴾ أيْ: سَعَوْا في قَتْلِ عيسى، عَلَيْهِ السَّلامُ، بِالمِكْرِ. ﴿وَمكَرَ اللَّهُ﴾ جازاهُمْ عَلى مَكْرِهِمْ؛ بِإلْقاءِ شَبَهِ عيسى عَلى مَنْ دلَّ عَلَيْهِ؛ حَتّى قُتِلَ عِوَضًا عَنْهُ، وَرَفَعَ عيسى - عَلَيْهِ السَّلامُ - إلى السَّماءِ. ﴿وَاللهُ خَيْرُ الماكِرينَ﴾ وَالمَكْرُ مِنْ صِفاتِ اللهِ - عزَّ وَجلَّ - الفِعْليَّةِ الخَبَرِيَّةِ الَّتي لا يوصَفُ بِها وَصْفًا مُطْلَقًا، بَلْ مُقَيَّدًا كَما في هَذِهِ الآيَةِ وَغيْرِها. وَجاءَ في حَديثِ ابْنِ عَبّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - المُخْرَجُ في السُّنَنِ وَغَيْرِها، بِإسْنادٍ صَحيحٍ، أنَّ النَّبِيَّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كانَ يَدْعو: «رَبِّ أعِنّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْني وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لي وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ...»[(٣)]. قالَ شَيْخُ الإسْلامِ: "وهَكَذا وَصَفَ نَفْسَهُ بالمَكْرِ وَالكَيْدِ، كَما وَصَفَ عَبدَهُ بذَلِكَ، فَقالَ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ﴾، وَقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، وَلَيْسَ المَكْرُ كالمَكْرِ، وَلا الكيد كالكيد."[(٤)].

۞ ۞ ۞

(١) أخْرَجَهُ البخاري (٣٣٣٩).

(٢) أخْرَجَهُ أحمد (١١٢٨٣).

(٣) أخْرَجَهُ ابن ماجه (٣٨٣٠)، والترمذي (٣٥٥١).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٥﴾ [آل عمران:٥٥].

﴿إِذْ قالَ اللهُ يا عيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أيْ: قابِضُكَ مِنَ الأرْضِ مِنْ غَيْرِ أنْ يُصيبَكَ أذى، وَرافِعُكَ إلى السَّماءِ بِجَسَدِكَ وَروحِكَ، وَالقَوْلُ الثّانِي: أنَّها وَفاةُ نَوْمٍ، فيَكونُ مَعْنى الكَلامِ: إني مُنيمُكَ وَرافِعُكَ في نَوْمِكَ، وَقَدْ جاءَ في القُرْآنِ إطْلاقُ الوَفاةِ عَلى النَّوْمِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَهُوَ الَّذي يَتَوَفّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ﴾، وَقَوْله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ في مَنامِها﴾، وَهَذانِ القَوْلانِ أرْجَحُ الأقْوالِ في تَفْسيرِ هَذِهِ الآيَةِ؛ لِتَواتُرِ الأحاديثِ عَنْ رَسولِ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالإخْبارِ عَنْ نُزولِ عيسى ابْنِ مَرْيَمَ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – وَأنَّهُ يَنْزِلُ في آخِرِ الزَّمانِ، وَمِنْ ذَلِكَ ما وَرَدَ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»(١). وَلَهُما أَيْضًا عنه – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟»(٢). وَجاءَ وَصْفُ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لعيسى – عَلَيْهِ السَّلامُ – كَما في حَديثِ المَسيحِ الدَّجالِ الطَّويلِ، وَفيهِ: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ...» الحديث[1]. ﴿ومُطَهِّرُكَ مِنَ الّذينَ كَفَروا﴾ أيْ: مُخَلِّصُكَ مِنَ اليَهودِ وَالنَّصارى، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِكَ وَجَحَدَ رِسالَتَكَ. ﴿وَجاعِلُ الَّذينَ اتَّبَعوكَ﴾ وَهُمُ المسْلِمونَ الّذين آمَنوا بِكَ وَصَدَّقوكَ، وَصَدَّقوا بِكُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ تَعالى، دونَ تَفْرِقَةٍ بينَ أنْبيائِهِ وَرُسُلِهِ. ﴿فَوْقَ الّذينَ كَفَروا﴾ أيْ: ظاهِرينَ عَلَيْهِمْ بِالبُرْهانِ وَالحُجَّةِ وَالعِزَّةِ وَالغَلَبَةِ. ﴿إلى يَوْمِ القِيامَةِ ثُمَّ إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخِرَةِ. ﴿فَأحْكُمَ﴾ فَأقْضِيَ. ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بَينَ المسْلمينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أهْلِ الأدْيانِ. ﴿فيما كُنْتُمْ فيهِ تَخْتَلِفونَ﴾ وَأُجازي كُلًّا بِعَمَلِهِ. ثُمَّ فَصَّلَ فَقالَ:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران: ٥٦ – ٥٧].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيا﴾، بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالجِزْيَةِ وَالذِّلَّةِ. ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ أيْ: بِالنَّارِ. ﴿وما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ يَمْنَعونَهُمْ مِنْ عُقوبَةِ اللهِ وَعَذابِهِ. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أيْ: في الدُّنْيا بِالنَّصْرِ وَالتَّمْكينِ، وَفي الآخِرَةِ بِدُخولِ جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ خالِدينَ فيها أبَدًا، وَأزْواجٍ مُطَهَّرَةٍ، وَرِضْوانٍ مِنَ اللهِ، نَسْألُ اللهَ الكَريمَ مِنْ فَضْلِهِ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

---

(١) أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(٢٩٣٧). وَقَدْ أَلَّفَ الشيخُ أنور شاه الكشميري (المُتوفّى ١٣٥٣هـ)، كِتابًا أسْماهُ: (التَّصْريحُ بِما تَواتَرَ في نُزولِ المسيحِ)، ذَكَرَ فيهِ الأحاديثَ الواردَةَ في نُزولِ عيسى- عَلَيْهِ السَّلامُ – وَآثارِ الصَّحابَةِ وَالتّابِعينَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨﴾ [آل عمران:٥٨].

﴿ذَلِكَ﴾ أيْ: ما تَقَدَّمَ في هَذِهِ الآياتِ مِنْ خَبَرِ عيسى وَمَرْيَمَ، عَلَيْهِما السَّلامُ. ﴿نَتْلوهُ﴾ أيْ: نَقُصُّهُ. ﴿عَلَيْكَ﴾ كَما قالَ تَعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ﴾ ﴿مِنَ الآياتِ﴾ أيْ: العَلاماتِ الدَّالَّةِ عَلى رِسالَتِكَ؛ لأنَّها أخْبارٌ مِنْ أُمورٍ لَمْ يُشاهِدْها. ﴿وَالذِّكْرِ الحَكيمِ﴾ أيْ: القُرْآنِ المُحْكَمِ مِنَ الباطِلِ، كَما قالَ تَعالى: ﴿وَإنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ * لا يأتيهِ الباطِلُ مِنْ بَينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَميدٍ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾

[آل عمران:٥٩].

﴿إنَّ مَثَلَ﴾ خَلْقَ ﴿عيسى﴾ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ غَيْرِ أبٍ. ﴿كَمَثَلِ﴾ خَلْقِ ﴿آدَمَ﴾ مِنْ غَيْرِ أبٍ وَأمٍّ، إذْ خَلَقَهُما. ﴿مِنْ تُرابٍ﴾، بَلِ الشَّأنُ في آدَمَ – عَلَيْهِ السَّلامُ – أعْجَبُ؛ لأنَّهُ خُلِقَ مِنْ غَيْرِ أبٍ وَلا أُمٍّ، وَإنَّما ﴿قالَ﴾ اللهُ. ﴿لَهُ كُنْ﴾ بَشَرًا. ﴿فَيَكونُ﴾ بِمَعْنى: فَكانَ، فَالَّذي خَلَقَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، قادِرٌ عَلى خَلْقِ عيسى – عَلَيْهِ السَّلامُ – مِنْ بابِ أوْلى، **فَالآيَةُ فيها** رَدٌّ صَريحٌ عَلى مَنْ زَعَمَ بِألوهِيَّةِ المَسيحِ، أو اعْتَبَرَهُ ابْنَ اللهِ.

۞ ۞ ۞

﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٦٠﴾ [آل عمران:٦٠].

﴿الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أيْ: هَذا الَّذي أنْبَأْتُكَ بِهِ مِنْ خَبَرِ عيسى – عَلَيْهِ السَّلامُ –، هُوَ الحَقُّ لا شَكَّ فيهِ. ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أيْ: مِنَ الشّاكّينَ. "**وَفي هَذِهِ الآيَةِ وَما بَعْدَها** دَليلٌ عَلى قاعِدَةٍ شَريفَةٍ، وَهُوَ أنَّ ما قامَتِ الأدِلَّةُ عَلى أنَّهُ حَقٌّ، وَجَزَمَ بِهِ العَبْدُ مِنْ مَسائِلِ العَقائِدِ وَغَيْرِها، فَإنَّهُ يَجِبُ أنْ يَجْزِمَ بِأنَّ كُلَّ ما عارَضَهُ فَهُوَ باطِلٌ، وَكُلُّ شُبْهَةٍ تورَدُ عَلَيْهِ فَهِيَ فاسِدَةٌ، سَواءٌ قَدَرَ العَبْدُ عَلى حَلِّها أمْ لا، فَلا يوجِبُ لَهُ عَجْزُهُ عَنْ حَلِّها القَدْحَ فيما عَلِمَهُ؛ لأنَّ ما خالَفَ الحَقَّ فَهُوَ باطِلٌ، قالَ تَعالى:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَماذا بَعْدَ الحَقِّ إلّا الضَّلالُ﴾ وَبِهَذِهِ القاعِدَةُ الشَّرْعِيَّةُ تَنْحَلُّ عَنِ الإنْسانِ إشْكالاتٌ كَثيرَةٌ، يوردُها المُتَكَلِّمونَ، وَيُرَتِّبُها المنْطِقِيّونَ؛ إنْ حَلَّها الإنْسانُ فَهُوَ تَبَرُّعٌ مِنْهُ، وَإلّا فَوَظيفَتُهُ أنْ يُبَيِّنَ الحَقَّ بِأدِلَّتِهِ، وَيَدعو إلَيْهِ." قالَهُ الشَّيْخُ ابْنُ سَعْدِيّ[1]، رَحِمَهُ اللهُ.

۞ ۞ ۞

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران:٦١].

﴿فَمَنْ حاجَّكَ﴾ جادَلَكَ. ﴿فيه﴾ في عيسى. ﴿مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ﴾ مِنَ البَيانِ الَّذي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في الآياتِ بِشَأْنِ عيسى، عَلَيْهِ السَّلامُ. ﴿فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ﴾ أيْ: هَلُمّوا نُحْضِرْ. ﴿أبْناءَنا وَأبْناءَكُمْ وَأنْفُسَنا وَأنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلى الكاذِبينَ﴾ أيْ: نَتَضَرَّعْ في الدُّعاءِ بِاللَّعْنَةِ عَلى الكاذِبينَ. **وَهَذِهِ الآيَةُ تُسمّى** (آيَةَ المباهَلَةِ) وَهي: المُلاعَنَةِ، وَالمقْصودُ مِنْها: أنْ يَجْتَمِعَ القَوْمُ إذا اخْتَلَفوا في شَيْءٍ، فَيَقولوا: "لَعْنَةُ اللهِ عَلى الكاذِبِ مِنّا"، وَكانَ سَبَبُ نُزولِ هَذِهِ الآيَةِ أنَّ وَفْدَ نَصارى نَجْرانَ حينَ قَدِموا المدينَةَ، فَجَعَلوا يُجادِلونَ في نَبِيِّ اللهِ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ، وَيزْعُمونَ فيهِ أنَّهُ إلَهٌ، أوْ ابْنُ إلَهٍ، وَقَدْ أصَرّوا عَلى باطِلِهِمْ، بَعْدَما أقامَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الأدِلَّةَ الظاهِرَةَ، وَالحُجَجَ القَوِيَّةَ بِأنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرسولُهُ؛ فَأمَرَهُ اللهُ تَعالى أنْ يُباهِلَهُمْ، فَدَعاهُمْ رَسولُ اللهِ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى المباهَلَةِ، بِأنْ يَحْضُرَ هُوَ وَأهْلُهُ وَأبْناؤُهُ، وَهُمْ يَحْضُرونَ بِأهْلِهِمْ وَأبْنائِهِمْ، ثُمَّ يَدْعونَ اللهَ تَعالى أنْ يُنَزِّلَ عُقوبَتَهُ وَلَعْنَتَهُ عَلى الكاذِبينَ، فَدَعا النبيُ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلِيًّا وَفاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، وَقالَ: «اللَّهُمَّ هَؤلاءِ أهْلي»[2]، وَتَشاوَرَ وَفْدُ نَجْرانَ فيما بَيْنَهُمْ وَاتَّفَقَ رَأيُهُمْ أنْ لا يُجيبوهُ؛ خَوْفًا مِنَ اللَّعْنَةِ وَقَبِلوا الجِزْيَةَ، فأجابَهُمُ النَّبِيُّ –

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِذَلِكَ. كَما ثَبَتَ في الصَّحيحَيْنِ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخارِيِّ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمانِ قالَ: "جاءَ العاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صاحِبا نَجْرانَ، إلى رَسولِ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُرِيدانِ أنْ يُلاعِناهُ، قالَ: فقالَ أحَدُهُما لِصاحِبِهِ: لا تَفْعَلْ، فَواللَّهِ لَئِنْ كانَ نَبِيًّا فَلاعَنَّا لا نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلا عَقِبُنا مِن بَعْدِنا! قالا: إنَّا نُعْطِيكَ ما سَأَلْتَنا، وَابْعَثْ معنا رَجُلًا أمِينًا، وَلا تَبْعَثْ معنا إلَّا أمِينًا. فقالَ: «لَأَبْعَثَنَّ معكُمْ رَجُلًا أمِينًا حَقَّ أمِينٍ»، فاسْتَشْرَفَ له أصْحابُ رَسولِ اللَّهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالَ: «قُمْ يا أبا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ»، فَلَمَّا قامَ، قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسلَّمَ: «هَذا أمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ» (١).

۞ ۞ ۞

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران:٦٢].

﴿إنَّ هَذا﴾ الَّذي أوْحَيْناهُ إلَيْكَ مِنْ شَأْنِ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلامُ. ﴿لَهُوَ القَصَصُ﴾ أيْ: الخَبَرُ. ﴿الحَقُّ﴾ الَّذي لا شَكَّ فيهِ. ﴿وَما مِنْ إلهٍ إلَّا اللَّهُ وَإنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [آل عمران:٦٣].

﴿فَإنْ تَوَلَّوْا﴾ أعْرَضوا عَنْ هَذا الحَقِّ الَّذي أتَيْتَ بِهِ بِشَأْنِ عيسى، عَلَيْهِ السَّلامُ. ﴿فإنَّ اللهَ عَليمٌ بِالمُفْسِدينَ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:٦٤].

﴿قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ﴾ مِنَ اليَهودِ وَالنَّصارى. ﴿تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ﴾ هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحيدِ. ﴿سَواءٍ﴾ عَدْلٍ. ﴿بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ﴾، ثُمَّ فَسَّرَ الكَلِمَةَ، فقال: ﴿أنْ لا نَعْبُدَ

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٠) واللفظ له، ومسلم (٢٤٢٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ أيْ: ألّا نَعْبُدَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَنُفْرِدَهُ بِالعِبادَةِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ. ﴿وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضًا أرْبابًا مِنْ دونِ اللهِ﴾ أيْ: لا نُطِيعَ أحَدًا في مَعْصِيَةِ اللهِ كائِنًا مَنْ كانَ، وَيُؤَيِّدُهُ ما أخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإسْنادٍ حَسَنٍ، عَنْ عُدَيِّ بْنِ حاتِمٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: "أتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ من ذَهَبٍ، فَقالَ لِي: «يا عُدَيُّ، اطْرَحْ هَذا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ»، فَطَرَحْتُهُ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ إلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿اتَّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْبابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، حَتَّى فَرَغَ منها، قُلْتُ: إنَّا لَسْنا نَعْبُدُهُمْ، فَقالَ: «أليْسَ يُحَرِّمُونَ ما أحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قالَ: فَقُلْتُ: بَلَى، قالَ: «فَتِلْكَ عِبادَتُهُمْ»[(١)]. ﴿فَإنْ تَوَلَّوْا﴾ أعْرَضوا عَنِ الإجابَةِ. ﴿فَقولوا اشْهَدوا بِأنّا مُسْلِمونَ﴾ مُقِرّون بالتَّوْحِيدِ. وَقَدْ ثَبَتَ في الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - قالَ: حَدَّثَنِي أبوسُفْيانَ، أنَّ هِرَقْلَ دَعا بِكِتابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إلَى هِرَقْلَ فَقَرَأهُ فَإذا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلامٌ عَلى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أمّا بَعْدُ، فَإنِّي أدْعُوكَ بِدِعايَةِ الإسْلامِ، أسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإنْ تَوَلَّيْتَ فَإنَّ عَلَيْكَ إثْمَ الأرِيسِيِّينَ ﴿يا أهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أنْ لا نَعْبُدَ إلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضًا أرْبابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأنّا مُسْلِمُونَ﴾..»[(٢)].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾

[آل عمران:٦٥].

قَوْلُهُ تَعالى: ﴿يا أهْلَ الْكِتابِ لِمَ تُحاجُّونَ﴾ أيْ: تُجادِلونَ. ﴿فِي إبْراهِيمَ﴾

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتَزْعُمُونَ أَنَّهُ كانَ عَلى دِينِكُمْ. ﴿وَما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بِزَمَنٍ طَوِيلٍ. ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ بُطْلانَ قَوْلِكُمْ.

۞ ۞ ۞

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آل عمران:٦٦].

﴿ها أَنْتُمْ هَؤلاءِ حاجَجْتُمْ﴾ أيْ: جادَلْتُمْ رَسولَ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ﴿فيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أيْ: فيما عَلِمْتُموهُ في كُتُبِكُمْ مِنْ أمْرِ موسى وَعيسى، عَلَيْهِما السَّلامُ. ﴿فَلِمَ تُحاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ مِنْ أمْرِ إبْراهيمَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - وَلَيْسَ في كُتُبِكُمْ أنَّه كانَ يَهودِيًّا أوْ نصرانيًّا. ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمونَ﴾ وَفي الآيَةِ دَليلٌ عَلى ذَمِّ الجِدالِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

۞ ۞ ۞

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران:٦٧].

وَالْحَنِيفُ: الْمَائِلُ عَنِ الشِّرْكِ، المُقْبِلُ عَلى طاعَةِ اللهِ وَعِبادَتِهِ، وَهَذِهِ الآيَةُ كقَوْله تَعالى: ﴿وَقالوا كونوا هودًا أوْ نَصارى تَهْتَدوا قُلْ بَلْ مِلَّةُ إبْراهيمَ حَنيفًا وَما كانَ مِنَ المشْرِكينَ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران:٦٨].

﴿إنَّ أوْلى النّاسِ بِإبْراهيمَ﴾ أيْ: أحقُّهُمْ بِإبْراهيمَ. ﴿لَلَّذينَ اتَّبَعوهُ﴾ أيْ: آمَنوا بِهِ وَأطاعوهُ في حَياتِهِ، وَاتَّبَعوا مِلَّتَهُ بَعْدَ وَفاتِهِ. ﴿وَهَذا النبيُّ﴾ مُحَمَّدٌ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ﴿وَالَّذينَ آمَنوا﴾ مِنْ أُمَّتِه؛ أيْ: فَهُمُ الَّذينَ يَنْبَغي أنْ يَقولوا: إنَّا عَلى دينِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ. ﴿واللهُ وَلِيُّ المؤْمِنينَ﴾ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْييدِ، وَفي الآيَةِ: أنَّ مُوالاةَ اللهِ تَعالى إنَّما تُنالُ بِالإيمانِ بِهِ سُبْحانَهُ.

۞ ۞ ۞

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [آل عمران:٦٩].

﴿وَدَّتْ﴾ تَمَنَّتْ وَأَحَبَّتْ. ﴿طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ كَما قالَ تَعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَوْ يَرُدّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفّارًا﴾ ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ﴾ جُمْلَةٌ حالِيَّةٌ، أيْ: وَالحالُ أنَّهُمْ ما يُضِلّونَ إلّا أنْفُسَهُمْ. ﴿وَما يَشْعُرونَ﴾ أنَّ هَذا يَضُرُّهُمْ وَلا يَضُرُّ المؤْمِنينَ.

۞ ۞ ۞

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [آل عمران:٧٠].

﴿يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَكْفُرونَ بِآياتِ اللهِ﴾ أيْ: القُرآنِ، وَبَيانِ صِفَةِ مُحَمَّد صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهدونَ﴾ أنَّ صِفَتَهُ مَذْكورَةٌ في التَّوْراةِ وَالإنْجيلِ، كَما قالَ تَعالى: ﴿الَّذينَ يَتَّبِعونَ الرَّسولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذي يَجِدونَهُ مَكْتوبًا عِنْدَهُمْ في التَّوْراةِ وَالإنْجيلِ... ﴾ الآيَة، ثُمَّ مَعَ هَذا كُلِّهِ تَكْفُرونَ بِهِ وَلا تُؤْمِنونَ بِهِ، وَأَنْتُمْ تَعْرِفونَهُ، وَتَعْرِفونَ صِدْقَهُ كَما تَعْرِفونَ أبْناءَكُمْ.

۞ ۞ ۞

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران:٧١].

﴿يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَلْبِسونَ﴾ تَخْلِطونَ. ﴿الحقَّ بِالباطِلِ﴾ بِالتَّحْريفِ وَالتَّزْويرِ. ﴿وَتَكْتُمونَ الحَقَّ﴾ أيْ: وَتُخْفونَ صِفَةَ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنُبُوَّتَهُ. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمونَ﴾ أنَّ ما أخْفَيْتُموهُ هُوَ الحَقُّ، وَأنَّهُ رَسولُ اللهِ.

۞ ۞ ۞

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران:٧٢].

﴿وقالَتْ طائِفَةٌ﴾ جَماعَةٌ. ﴿مِنْ أهْلِ الكِتابِ﴾ مِنَ اليَهودِ لِبَعْضِهِمْ: ﴿آمِنوا بِالَّذي أُنْزِلَ عَلى الَّذينَ آمَنوا﴾ بِمُحَمَّدٍ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَما أُنْزِلَ عَلَيْهِ. ﴿وَجْهَ النَّهارِ﴾ أوَّلَهُ. ﴿وَاكْفُروا آخِرَهُ﴾ وَاكْفُروا بِهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَما أُنْزِلَ عَلَيْهِ آخِرَ النَّهارِ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعونَ﴾ أيْ: لَعَلَّ المُؤْمِنينَ يَرْجِعونَ عَنْ دينِهِمْ،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَيَحْصُلُ لَهُمْ شَكٌّ فيهِ، وَفي الآيَةِ إشارةٌ إلى أنَّ عادةَ اليَهودِ - قَبَّحَهُمُ اللهُ في كُلِّ زَمانٍ وَمَكانٍ - إرادَةُ المكْرِ بالمؤْمِنينَ، وَالسَّعْيُ لإفْسادِ دينِهِمْ، وَلَكِنَّ اللهَ يَأبى إلّا أنْ يُتِمَّ نورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرونَ.

۞ ۞ ۞

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران:٧٣].

وقالَتْ جَماعَةٌ مِنَ اليَهودِ أَيْضًا: ﴿ولا تؤمِنوا﴾ أيْ: لا تُظْهِروا الإيمانَ. ﴿إلّا لِمَنْ تَبِعَ﴾ وَافَقَ. ﴿دينَكُمْ﴾ اليَهودِيَّةَ. ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يا مُحَمَّدُ: ﴿إنَّ الهُدى﴾ الَّذي هُوَ الإسْلامُ. ﴿هُدى اللهِ﴾ فَهُوَ الَّذي يَهْدي مَنْ يَشاءُ، وَإنْ سَعَيْتُمْ بِكُلِّ ما أوتيتُمْ فَلَنْ يَنْفَعَكُمْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَمَنْ أرادَ اللهُ هِدايَتَهُ؛ فَلَنْ يَرُدَّهُ عَنِ الهِدايَةِ مَكْرُكُمْ وَكَيْدُكُمْ، وَالجُمْلَةُ اعْتِراضٌ بَيْنَ الكَلامَيْنِ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿أنْ يُؤتى أحَدٌ مِثْلَ ما أوتِيتُمْ﴾ هَذا مِنْ كَلامِ اليَهودِ، قالوا: لا تُظْهِروا ما عِنْدَكُمْ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالعِلْمِ وَغَيْرِها إلّا لأهْلِ دينِكُمْ؛ لِئَلَّا ﴿يُحاجُّوكُمْ﴾ أيْ: المسْلِمونَ. ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ فَيُدْحِضوا حُجَّتَكُمْ. ﴿قُلْ إنَّ الفَضْلَ﴾ الهِدايَةَ وَالتَّوْفيقَ، ﴿بِيَدِ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يَشاءُ﴾ وَلا أحَدَ يَسْتَطيعُ أنْ يَمْنَعَ فَضْلَهُ، تَعالى. ﴿واللهُ وَاسِعٌ﴾ وَالواسِعُ مِنْ أسْماءِ اللهِ تَعالى، وَهُوَ الَّذي وَسِعَ رِزْقُهُ جَميعَ خَلْقِهِ، وَغِناهُ كُلَّ فَقيرٍ، وَرَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، كَما قالَ تَعالى: ﴿وَرَحْمَتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾. ﴿عَليمٌ﴾ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الفَضْلَ، وَمَنْ لا يَسْتَحِقُّهُ، وَأعْظَمُ فَضْلٍ يَتَفَضَّلُ اللهُ بِهِ عَلى العَبْدِ الهِدايَةُ وَالتَّوْفيقُ، نَسْأَلُ اللهَ تَعالى الكَريمَ مِنْ فَضْلِهِ.

۞ ۞ ۞

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران:٧٤].

قَوْلُهُ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ أيْ: بِنُبُوَّتِهِ وَهِدايَتِهِ. ﴿مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

۞ ۞ ۞

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿* وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران:٧٤].

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ﴾ وَهُوَ المالُ الكَثيرُ تأتَمِنُهُ عَلَيْهِ دونَ شاهِدٍ ولاكِتابَةٍ. ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ كامِلًا غَيْرَ مَنْقوصٍ لِأمانَتِهِ. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ﴾ وَهُوَ المالُ القَليلُ. ﴿لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائمًا﴾ أيْ: إلّا إذا داوَمَ صاحِبُ الحَقِّ عَلى المطالَبَةِ بِحَقِّهِ، وَبَذَلَ غايَةَ جُهْدِهِ في طَلَبِهِ[1]. ﴿ذَلِكَ﴾ أيْ: الَّذي أوْجَبَ لَهُمُ الخِيانَةَ وَالمُماطَلَةَ بِأداءِ الحُقوقِ الَّتي عَلَيْهِمْ قَوْلُهُمُ الباطِلُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنا﴾ فيما أصَبْنا مِنْ أمْوالِ العَرَبِ. ﴿سَبيلٌ﴾ أيْ: لاحَرَجَ وَلا إثْمَ في ذَلِكَ؛ لأنَّهُمْ مُشْرِكونَ، فَالأُمِّيُّونَ في هَذِهِ الآيَةِ العَرَبُ كُلُّهُمْ، ثُمَّ كَذَّبَهُمُ اللهُ تَعالى في هَذا، فقالَ: ﴿وَيَقولونَ عَلى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمونَ﴾ أنَّهُمْ يَكْذِبونَ.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران:٧٦].

﴿بَلى﴾ أيْ: بَلى، عَلَيْهِمْ سَبيلٌ في ذَلِكَ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فقالَ: ﴿مَنْ أوْفى بِعَهْدِهِ﴾ مَعَ اللهِ، وَآمَنَ بِرَسولِهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاسْتَقامَ عَلى طاعَتِهِ، وَأدّى الأماناتِ إلى أصْحابِها. (واتَّقى) ما نَهى اللهُ عَنْهُ مِنَ الكُفْرِ وَالخِيانَةِ، وَغَيْرِهِما. ﴿فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ المتَّقينَ﴾ جَعَلَنا اللهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ مِنْهُمْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران:٧٧].

أخْرَجَ البُخارِيُّ وَاللَّفْظ لَهُ، وَمُسْلِمٌ في سَبَبِ نُزولِها، عَنِ ابْنِ مَسْعودٍ - رَضِيَ اللهُ

(١) وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿ما دُمْتَ﴾ هَذِهِ ناقِصَةٌ، وَتَعْمَلُ عَمَلَ كانَ؛ فَتَرْفَعُ المُبْتَدَأ وَتَنْصِبُ الخَبَرَ، وَشَرْطُ إعْمالِها أنْ يَتَقَدَّمَها ما المصْدَرِيَّةُ، كَهَذِهِ الآيَةِ؛ إذِ التَّقْديرُ: إلّا مُدَّةَ دَوامِكَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنْهُ – قالَ: "قالَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «مَن حَلَفَ عَلى يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بها مالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبانُ»؛ فأنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ: ﴿إنَّ الَّذينَ يَشْتَرُونَ بعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ فَقَرَأَ إلى: ﴿عَذابٌ أليمٌ﴾، فَدَخَلَ الأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ، فقالَ: ما حَدَّثَكُمْ أبُو عبدِ الرَّحْمَنِ؟ فقالَوا: كَذا وَكَذا، قالَ: فِيَّ أُنْزِلَتْ، كانَتْ لي بئْرٌ في أرْضِ ابْنِ عَمٍّ لِي، فأتَيْتُ رَسولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ، فقالَ: «بَيِّنَتُكَ أوْ يَمِينُهُ». قُلتُ: إذًا يَحْلِفُ عَلَيْها يا رَسولَ اللهِ، فقالَ رَسولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ: «مَن حَلَفَ عَلى يَمِينِ صَبْرٍ، وَهُوَ فيها فاجِرٌ، يَقْتَطِعُ بها مالَ امْرِئٍ مُسْلِم، لَقِيَ اللَّهَ يَومَ القِيامَةِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبانُ»"[(١)].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أبي أوْفى – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أنَّ رَجُلًا أقامَ سِلْعَةً وَهُوَ في السُّوقِ، فَحَلَفَ بِاللهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِها ما لَمْ يُعْطَ، لِيوقِعَ فيها رَجُلًا من المسْلِمينَ، فنَزَلَتْ: ﴿إنَّ الَّذينَ يَشْتَرونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأيْمانِهِمْ ثَمَنًا قَليلًا﴾.. الآيَة[(٢)]. وَرَوى البُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ، مِنْ حَديثِ أبي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبِيَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، قالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّه إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ كانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ فَمَنَعَهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا؛ فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ، وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ فقالَ: وَاللَّه الَّذي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ أُعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ»[(٣)]، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إنَّ الَّذينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. وَهُناكَ أكْثَرُ مِنْ رِوايَةٍ في سَبَبِ نُزولِ هَذِهِ الآيَةِ، وَلا يَمْنَعُ مِنَ الأخْذِ بِها كُلِّها؛ لأنَّ العِبْرَةَ بِعُمومِ اللَّفْظِ، لا بِخُصوصِ السَبَبِ. ﴿إنَّ الَّذينَ يَشْتَرونَ﴾ يَسْتَبْدِلونَ. ﴿بِعَهْدِ اللهِ﴾ وَالمُرادُ بِعَهْدِ اللهِ: كُلُّ ما

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٩) واللفظ له، ومسلم (١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥٨)، ومسلم (١٠٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَجِبُ الوَفاءُ بِهِ، كَأداءِ الأمانَةِ وَغَيْرِها. ﴿وَأَيْمانِهِمْ﴾ جَمعُ يَمين، وَهُوَ الحَلِفُ. ﴿ثَمَنًا قَليلًا﴾ مِنَ الدُّنْيا. ﴿أولئكَ لا خَلاقَ لَهُمْ في الآخِرَةِ﴾ أيْ: لا نَصيبَ لَهُمْ فيها. ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ﴾ بِكَلامٍ يَسُرُّهُمْ. ﴿وَلا يَنْظُرُ إلَيْهِمْ﴾ بِالرَّحْمَةِ. ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ أليمٌ﴾ مُؤلِمٌ وَموجِعٌ، وَفي الآيَةِ تَعْظيمُ عَهْدِ اللهِ، وَوُجوبُ الوَفاءِ بِهِ، وَتَغْليظُ اليَمينِ، وَأنَّ مِنْ أعْظَمِ الكَبائِرِ الأكْلَ بِاليَمينِ الفاجِرَةِ؛ فَفي صَحيحِ مُسْلِمٍ، مِنْ حَديثِ أَبي ذَرٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ رَسولَ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - قالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قالَ: فَقَرَأَهَا رَسولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - ثَلَاثَ مِرَارًا، قالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا! مَنْ هُمْ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ» [1]. وَإذا كانَ الشّارِعُ حَرَّمَ اليَمينَ الغَموسَ - وَهي: أنْ يَحْلِفَ عَلى أمْرٍ في الماضي كاذِبًا عالِمًا - تَحْريمًا شَديدًا، فَاليَمينُ الَّتي يُؤكَلُ بِها مالٌ حَرامٌ أشَدُّ وَأعْظَمُ؛ لأنَّهُ عَلى الأظْهَرِ من قَوْلَي العُلَماءِ، لا يُشْتَرَطُ أنْ يَكونَ المَقْصودُ مِنَ اليَمينِ الغَموسِ اقْتِطاعَ مالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، بَلْ يَشْمَلُ ما لَوْ أرادَ ذَلِكَ أوْ غَيْرَهُ، وَسُمِّيَتْ غَموسًا لأنَّها تَغْمِسُ صاحِبَها في الإثْمِ، ثُمَّ في النّارِ، وَلَكِنْ لا كَفّارَةَ عَلَيْهِ عَلى الأظْهَرِ مِنْ قَوْلَي العُلَماءِ؛ وَإنَّما يَجِبُ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ وَالاسْتِغْفارُ، وَهَذا قَوْلُ جَماهيرِ أَهْلِ العِلْمِ، خِلافًا لِلإمامِ الشّافِعِيِّ؛ لأنَّ الشّارِعَ لمّا رَهَّبَ مِنْها وَخَوَّفَ وَتَوَعَّدَ، لَمْ يَذْكُرْ فيها كَفّارَةً كَما ذَكَرَ في الأيْمانِ، وَهَذا ظاهِرُ الأحاديثِ المُتَقَدِّمَةِ الَّتي أوْرَدْناها في سَبَبِ النُّزولِ، وَاللهُ أعْلَمُ.

۞ ۞ ۞

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

[آل عمران:٧٨].

﴿وَإنَّ مِنْهُمْ﴾ أيْ: مِنَ اليَهودِ. ﴿لَفَريقًا) طائِفَةً. (يَلْوونَ ألْسِنَتَهُمْ بِالكِتابِ﴾

(١) أخرجه مسلم (١٠٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أيْ: يُحَرِّفونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ. ﴿لِتَحْسَبوهُ مِنَ الكِتابِ﴾ أيْ: لِتَحْسَبوهُ أنَّهُ مِنَ التَّوْراةِ المُنْزَلَةِ عَلى موسى، عَلَيْهِ السَّلامُ. ﴿وما هُوَ مِنَ الكِتابِ) أيْ: وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الكِتابِ المُنْزَلِ عَلى رَسولِهِ، وَإنَّما أحْدَثوهُ مِنْ عِنْدِ أنْفُسِهِمْ. ﴿ويَقولونَ عَلى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمونَ﴾ أنَّهُمْ كاذِبونَ، وَهَذا مِنْ أعْظَمِ الذُّنوبِ، وَالعِياذُ بِاللهِ.

۞ ۞ ۞

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

[آل عمران:٧٩].

﴿ما كانَ لبَشَرٍ﴾ أيْ: ما يَنْبَغي لِبَشَرٍ. ﴿أنْ يُؤتِيَهُ اللهُ الكِتابَ﴾ أيْ: القُرْآنَ. ﴿والحُكْمَ﴾ أيْ: الفهْمَ. ﴿والنُبُوَّةَ ثُمَّ يَقولُ لِلنّاسِ كونوا عِبادًا لي مِنْ دونِ اللهِ﴾ أيْ: اعْبُدوني مِنْ دونِ اللهِ، هَذا لا يُمْكِنُ أبَدًا، بَلْ يَدْعوهُمْ إلى عِبادَةِ الله وَحْدَهُ، لا شَريكَ لَهُ. ﴿وَلَكِنْ﴾ يَقولُ: ﴿كونوا ربّانيّينَ﴾ أيْ: يَقولُ: كونوا عُلَماءَ عامِلينَ مُعَلِّمينَ لِلنّاسِ، تُرَبّونَهُمْ عَلى صِغارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبارِهِ. ﴿بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمونَ الكِتابَ﴾ أيْ: بِما يَكونُ عَلى أيْديكُمْ مِنَ التَّعْليمِ، وَهَذا يَتَضَمَّنُ أنْ يَكونَ العالِمُ عالِمًا بِما يُعلِّمُ. ﴿وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسونَ﴾ أيْ: وَبِسَبَبِ مُداوَمَتِكُمْ عَلى تِلاوتِهِ، وَمُدارَسَةِ أَلْفاظِهِ وَمَعانيهِ، قالَ الضَّحّاكُ – رَحِمَهُ اللهُ – في هَذِهِ الآيَةِ: "حقٌّ عَلى كُلِّ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ أنْ يَكونَ فَقيهًا".

۞ ۞ ۞

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

[آل عمران:٨٠].

﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾[1]؛ أيْ: ما كانَ يَنْبَغي لِبَشَرٍ أنْ يُؤتيَهِ اللهُ ما ذُكِرَ، ثُمَّ يَأْمُرَ النّاسَ بِعِبادَةِ نَفْسِهِ، أوْ بِاتِّخاذِ الملائكَةِ وَالنَّبِيّينَ أرْبابًا

(١) قَوْلُهُ: ﴿يَأْمُرَكُمْ﴾ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَعْطوفٌ عَلى ﴿يُؤْتِيَهُ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يُعْبَدونَ مِنْ دونِ اللهِ، كما فَعَلَتِ اليَهودُ وَالنَّصارى وَالصَّابِئونَ. ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمونَ﴾ الاسْتِفْهامُ لِلإنْكارِ الَّذي هُوَ بِمَعْنى النَّفْيِ، أيْ: أنَّ الرُّسُلَ - عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - لا يُتَصَوَّرُ مِنْهُمْ بِأيِّ حالٍ مِنَ الأحْوالِ، أنْ يَأمُروا النّاسَ بِالكُفْرِ بِاللهِ، بَعْدَ دُخولِهِم في الإسْلامِ.

۞ ۞ ۞

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران:٨١].

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ﴾ أيْ: وَاذْكُرْ، يا مُحَمَّدُ، حينَ أخَذَ اللهُ العَهْدَ المؤَكَّدَ على جَميعِ ﴿النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ من كتاب﴾ اللّامُ في (لَمَا) مُوَطِّئَةٌ لِلْقَسَمِ، وَ(ما) مَوْصولَةٌ مُبْتَدَأٌ، وَما بَعْدَهُ صِلَةٌ لَهُ، وَخَبَرُهُ ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ وَالمعْنى: الَّذي آتَيْناكُموهُ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ. ﴿ثُمَّ جاءَكُمْ رَسولٌ﴾ وَالمرادُ بِالرسولِ هنا: مُحَمَّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. ﴿مُصَدِّقٌ﴾ مُوافِقٌ. ﴿لِما مَعَكُمْ﴾ مِنَ الكِتابِ وَالحِكْمَةِ. ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّه﴾ أيْ: إنْ أدْرَكْتُموهُ تَقومونَ بِنَصْرِهِ وَتَأْييدِهِ. ﴿قالَ أَأَقْرَرْتُمْ﴾ أيْ: سألَ اللهُ تعالى النَّبيِّينَ: أَأَقْرَرْتُمْ بِالإيمانِ بِهِ وَالنُّصْرَةِ لَهُ. ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ أيْ: قَبِلْتُمْ عَهْدي؟ ﴿قالَوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدوا﴾ أيْ: عَلى أنْفُسِكُمْ وَعلى أتْباعِكُمْ بِالْتِزامِ هَذا العَهْدِ. ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدينَ﴾ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ. أخْرَجَ ابْنُ جَريرٍ الطَّبَرِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أبي طالِبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: "لَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيًا؛ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ، إلّا أخَذَ عَلَيْهِ العَهْدَ في مُحَمَّدٍ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - لَئِنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ، وَيأْمُرُهُ فَيَأْخُذُ العَهْدَ عَلى قَوْمِهِ. ثُمَّ تلا الآيَةَ"(١).

وَهَذِهِ الآيَةُ تَدُلُّ دِلالَةً وَاضِحَةً عَلى وُجوبِ الإيمانِ بِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. وَقَدْ أكَّدَ اللهُ تَعالى وُجوبَ الإيمانِ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - في

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥٤٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَواضِعَ كَثيرةٍ مِنَ القُرْآنِ، بَلْ جَعَلَهُ مُقْتَرِنًا بِالإيمانِ بِهِ سبحانه. قالَ تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ، وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وَقالَ تَعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنِّي رَسولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون﴾، وَالأدِلَّةُ عَلى هَذِهِ المسْألَةِ العَظيمَةِ أَكْثَرُ مِنْ أنْ تُحْصَرَ، وَأشْهَرُ مِنْ أنْ تُذْكَرَ، وَقالَ تَعالى في حقِّ مِنْ لَمْ يُؤمِنْ: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ وَبما تَقَدَّمَ مِنْ آياتٍ، يُعْلَمُ وُجوبُ الإيمانِ بِالرَّسولِ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – وَأَنَّهُ لا يَتِمُّ الإيمانُ بِاللهِ بِدونِ الإيمانِ بِهِ، وَلِذَلِكَ؛ كانَ أَوَّلُ أَرْكانِ الإسْلامِ (شَهادَةُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَشَهادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ). ووَرَدَتْ في السُّنَّةِ أحاديثُ كَثيرَةٌ جِدًّا تَدُلُّ عَلى وُجوبِ الإيمانِ بِهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، عَلى الجِنِّ وَالإنْسِ الَّذينَ أَدْرَكَتْهُمْ رِسالَتُهُ، سَواءٌ كانوا أَهْلَ كِتابٍ، أَمْ لَيْسوا بِأَهْلِ كِتابٍ، وَمِنْ ذَلِكَ ما أَخْرَجَهُ الإمامُ مُسْلِمٌ، رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَن رَسولِ اللهِ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قالَ: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاسَ حتّى يَشْهَدوا أنَّ لا إِلَهَ إلا اللهَ، وَيُؤمِنوا بي وَبِما جِئتُ بِهِ، فَإذا فَعَلوا ذَلِكَ عَصَموا مِنّي دِماءَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ إلّا بِحَقِّها، وَحِسابُهُمْ عَلى اللهِ»[1]. وَلَهُ عَنْهُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَن رَسولِ اللهِ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قالَ: «والَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ من هَذِهِ الأُمَّةِ؛ يَهودِيٌّ وَلا نَصْرانِيٌّ، ثُمَّ يَموتُ وَلَمْ يُؤمِنْ بِالَّذي أُرْسِلْتُ بِهِ إلّا كانَ مِنْ أصْحابِ النّارِ»[2].

فهَذِهِ النُّصوصُ وَغَيْرُها تُبَيِّنُ لَنا بِجَلاءٍ ووُضوحٍ وُجوبَ الإيمانِ بِهِ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) أخرجه مسلم (٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَسَلَّم – وَأَنَّ الإيمانَ بِهِ رُكْنٌ عَظيمٌ من أَرْكانِ الإسْلامِ، بَلْ لا يَدْخُلُ في الإسْلامِ أصْلًا حتّى يُؤمِنَ بِالنَّبِيّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ المفْتُونينَ – وَالعِياذُ بِاللهِ – يُقَرِّرُ: "بِأَنَّ الكِتابِيَّ . يهوديًّا أو نصرانيًّا . لَيْسَ مُلزَمًا بأكْثَرَ مِنْ أنْ يُقِرَّ بنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ، فَلا يَلْزَمُهُ أنْ يَتَّبِعَهُ، وَأَنْ يَتَدَيَّنَ بِشَرْعِهِ، وَيكْفيهِ أنْ يُقِرَّ بِنُبُوَّتِهِ"، وَصارَ لِكلامِ هَذا المفتونِ – وَالعِياذُ بِاللهِ – رَواجٌ وَانْتِشارٌ، وَتَأَثَّرَ بِهِ بَعْضُ الجُهَلاءِ، وَقَدْ خالَفَ هَذا المفْتونُ إجْماعَ الأُمَّةِ قاطِبَةً عَلى وُجوبِ الإيمانِ بِالنَّبِيِّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَخالَفَ أيْضًا إجْماعَ الأُمَّةِ عَلى كُفْرِ اليَهودِ وَالنَّصارى إذا بَلَغَتْهُمْ شَريعَةُ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – وَلَمْ يُؤْمِنوا بِها، قالَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» بَلْ كُفْرُ اليَهودِ وَالنَّصارى مَعْلومٌ بِالاضْطِرارِ مِنْ دينِ الإسْلامِ؛ وَلِهذا أجْمَعَ العُلَماءُ عَلى أنَّ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ مَنْ دانَ بِغَيْرِ الإسْلامِ؛ كَاليَهودِ وَالنَّصارى، أوْ شَكَّ في كُفْرِهِمْ، أوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ: فَهُوَ كافِرٌ، وَعَلى مَنْ يَعْتَقِدُ غَيْرَ هَذا أنْ يَتوبَ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَعْتَقِدُ اعْتِقادًا – لا شَكَّ فيهِ – أنَّ هَؤلاءِ اليَهودَ وَالنَّصارى كُفّارٌ؛ لِأَنَّ الحُجَّةَ قَدْ قامَتْ عَلَيْهِم، وَبَلَغَتْهُمُ الرِّسالَةُ، وَلَكِنَّهُمْ كَفَروا عِنادًا، وَاللهُ المستَعانُ.

۞ ۞ ۞

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران:٨٢].

﴿فَمَنْ تَوَلّى﴾ أعْرَضَ عَنِ الإيمانِ بِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – وَنُصْرَتِهِ. ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بَعْدَ أخْذِ هَذا الميثاقِ وَالعَهْدِ. ﴿فأولئكَ هُمُ الفاسِقونَ﴾ الخارِجونَ عَن الإيمانِ، **وَهَذِهِ الآيَةُ** صَريحَةٌ في كُفْرِ اليَهودِ وَالنَّصارى، وَأنَّ مَنْ ماتَ مِنْهُمْ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلم– فَهُوَ في النّارِ خالِدًا مُخَلَّدًا فيها، وَالعِياذُ بِاللهِ.

۞ ۞ ۞

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

[آل عمران:٨٣].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ﴾ الهَمْزَةُ لِلاسْتِفْهامِ، وَالاسْتِفْهامُ هُنا اسْتِفْهامٌ إنْكارِيٌّ، وَالمَعْنى: كَيْفَ يَطْلُبونَ دِينًا غَيْرَ دِينِ اللهِ، وَشَرِيعَةً غَيْرَ شَرِيعَةِ النَّبِيِّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؟! ﴿وَلَهُ أسْلَمَ﴾ خَضَعَ وَانْقادَ. ﴿مَنْ في السَّماواتِ﴾ الملائكَةُ. ﴿والأرْضِ﴾ المسْلِمونَ. ﴿طَوْعًا﴾ طَواعِيَةً. ﴿وَكَرْهًا﴾ قَهْرًا، كَالكُفّارِ. ﴿وَإلَيْهِ يُرْجَعونَ﴾ يَوْمَ القِيامَةِ؛ فَيُجازِيَ كُلَّ مَخْلوقٍ عَلى عَمَلِهِ، إنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

۞ ۞ ۞

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾

[آل عمران:٨٤].

تَقَدَّمَ نَظيرُ هَذِهِ الآيَةِ في سورَةِ البَقَرَةِ.

۞ ۞ ۞

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

[آل عمران:٨٥].

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ أي: وَمَنْ يَطْلُبْ دينًا سِوى دينِ الإسْلامِ، الَّذي جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ لأنَّهُ الدّينُ الَّذي ارْتَضاهُ اللهُ تَعالى لِعِبادِهِ، قالَ تَعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وَعَقوبَةُ هَذا الطّالِبِ في الآخِرَةِ ـ وَالعِياذُ بِاللهِ ـ بَيَّنَها اللهُ تَعالى بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرينَ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آل عمران:٨٦].

أخْرَجَ النّسائيُّ وَغَيْرُه، بِإسْنادٍ صَحيحٍ، عَنِ ابْنِ عبّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، قالَ: "كانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصارِ أَسْلَمَ، ثُمَّ ارْتَدَّ وَلَحِقَ بِالشِّرْكِ، ثُمَّ نَدِمَ فَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمِهِ: سَلُوا لِي رَسول اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَجَاءَ قَوْمُهُ إِلَى رَسول اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقالَوا: "إِنَّ فُلَانًا نَدِمَ وَإِنَّهُ أَمَرَنَا أَنْ نَسْأَلَكَ: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَنَزَلَتْ: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَسْلَمَ"(١). ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ﴾ هَذا اسْتِفهامٌ بِمعْنى الإِنْكارِ أيْ: لا يَهْدي اللهُ. ﴿قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ﴾ أيْ: جَحَدوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، بَعْدَ إيمانِهِمْ بِهِ. ﴿وَشَهِدوا﴾ أيْ: وَبَعْدَ أنْ شَهِدوا. ﴿أنَّ الرَّسولَ﴾ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. ﴿حَقٌّ وَجاءَهُمُ البَيِّناتُ﴾ الحُجَجُ وَالبَراهينُ، وَأعْظَمُها هَذا القُرْآنُ العَظيمُ. ﴿وَاللهُ لا يَهْدي القَوْمَ الظالِمينَ﴾ قالَ الإمامُ القُرْطُبِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ: "يُقالُ: ظاهِرُ الآيَةِ أنَّ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ إسْلامِهِ لا يَهْديهِ اللهُ، وَمَنْ كانَ ظالِمًا لا يَهديه اللهُ؛ وَقَدْ رَأيْنا كَثيرًا مِنَ المرْتَدّينَ قَدْ أسْلَموا وَهَداهُمُ اللهُ، وَكَثيرًا مِنَ الظّالِمينَ تابوا عَنِ الظُّلْمِ. قيلَ لَهُ: مَعْناهُ، لا يَهديهُمُ اللهُ ما داموا مُقيمينَ عَلى كُفْرِهِمْ وَظُلْمِهِمْ، وَلا يُقْبِلونَ عَلى الإسْلامِ؛ فأمّا إذا أسْلَموا وَتابوا فَقَدْ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِذَلِكَ. وَاللهُ تَعالى أعْلَمُ"(٢). انْتَهى.

۞ ۞ ۞

﴿أُولَٰئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [آل عمران:٨٧].

﴿أولَئكَ جَزاؤهُمْ﴾ أيْ: هَؤلاءِ الَّذينَ كَفَروا بعد إيمانهم، وَبَعْدَ أنْ شَهِدوا أنَّ الرَّسولَ حَقٌّ. ﴿جَزاؤهُمْ أنّ عَلَيْهِم لَعْنَةَ اللهِ﴾ وَهي: الإبْعادُ وَالطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَعَلَيْهِمْ أيْضًا لَعْنَةُ ﴿الملائكَةِ وَالنّاسِ أجْمَعينَ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [آل عمران: ٨٨ – ٨٩].

﴿خالِدينَ فيها﴾ أيْ: في اللَّعنَةِ. ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذابُ وَلا هُمْ يُنْظَرونَ﴾ أيْ: وَلا هُمْ يُمْهَلونَ، وَلا يُؤَخَّرونَ.

---

(١) أخرجه النسائي (٤٠٦٨).

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ١٢٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [آل عمران: ٩٠].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بعد إيمانهم ثُمَّ ازدادوا كفرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ قَوْلُهُ: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ عِنْدَ حُضورِ الموْتِ. قالَ الإمامُ القُرْطُبِيُّ: وَهَذا قَوْلٌ حَسَنٌ[1]، كما قالَ تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ...﴾ وَقالَ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ: "أيْ: لا يُوَفَّقونَ لِتَوْبَةٍ تُقْبَلُ، بَلْ يُمِدُّهُمُ اللهُ في طُغْيانِهِمْ يَعْمَهونَ، قالَ تَعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ﴿فَلَمّا زاغوا أَزاغَ اللهُ قُلوبَهُمْ﴾"[2] انْتَهى. وَقَدْ وَرَدَ في سَبَبِ نُزولِها، ما رَواهُ البَزّارُ، بِإِسْنادٍ جَيِّدٍ، كَما قالَ الحافِظُ ابْنُ كَثيرٍ، رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "أَنَّ قَوْمًا أَسْلَموا ثُمَّ ارْتَدّوا، ثُمَّ أَسْلَموا ثُمَّ ارْتَدّوا؛ فَأَرْسَلوا إِلى قَوْمِهِمْ يَسْأَلونَ لَهُمْ، فَذَكَروا ذَلِكَ لِرَسولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿إِنَّ الَّذينَ كَفَروا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾"[3].

۞ ۞ ۞

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران: ٩١].

﴿إِنَّ الَّذينَ كَفَروا وَماتُوا وَهُمْ كُفّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا﴾ أيْ: الَّذينَ كَفَروا وَماتوا عَلى كُفْرِهِمْ، لَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ جَزاءٌ وَلا فِدْيَةٌ يَفْتَدونَ بِها مِنْ عَذابِ اللهِ، وَلو افْتَدوا مِنَ العَذابِ بِمِلْءِ الأَرْضِ ذَهَبًا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُمْ. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرينَ﴾ رَوى البُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، قالَ: «يُقالُ لِلرَّجُلِ من أَهْلِ النّارِ يَوْمَ القِيامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ

(١) تفسير القرطبي (٤/ ١٣٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٣٧).

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٧٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كانَ لَكَ ما عَلى الأرْضِ مِنْ شَيْءٍ أكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ؟ قالَ: فَيَقولُ: نَعَمْ، فَيَقولُ اللهُ لَهُ، قَدْ أرَدْتُ مِنْكَ أهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ أخَذْتُ عَلَيْكَ في ظَهْرِ أبيكَ آدَمَ أنْ لا تُشْرِكْ بي شَيْئًا؛ فَأبَيْتَ إلّا أنْ تُشْرِكَ»[(١)].

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].

﴿لَنْ تَنالوا البِرَّ﴾ لَنْ تُدْرِكوا حَقيقَةَ البِرِّ، وَلَنْ تَبْلُغوا ثَوابَهُ العَظيمَ الَّذي يُوَصِّلُكُمْ إلى جَنَّتِهِ. ﴿حتّى تُنْفِقوا ممّا تُحِبّونَ﴾ مِنَ المالِ، وَهَذِهِ الآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿ويُطْعِمونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ﴾ وَلما نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنالوا البِرَّ حَتّى تُنْفِقوا مِمّا تُحِبّونَ...﴾ قالَ أبو طَلْحَةَ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ اللهَ يَسْأَلُنا مِنْ أمْوالِنا، أُشْهِدُكَ أنّي قَدْ جَعَلْتُ أرْضي بَيْرَحاءَ للهِ. فقالَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلْها في قَرابَتِكَ» فَجَعَلَها في حَسانَ بْنِ ثابِتٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ. أخْرَجَه مُسْلِمٌ، مِنْ حَديثِ أنَسِ بْنِ مالِكٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وَعنه قالَ: كانَ أبو طَلْحَةَ أكْثَرَ أنصاريٍّ بِالمدينَةِ مالًا، وَكانَ أحَبَّ أمْوالِه إلَيْهِ بَيْرحاءُ - وَكانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المسْجِدِ، وَكانَ النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَدْخُلُها، وَيَشْرَبُ من ماءٍ فيها طَيِّبٍ - قالَ أنَسٌ: فلمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حتّى تُنْفِقُوا ممَّا تُحِبُّونَ﴾، قالَ أبو طَلْحَةَ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ اللهَ يَقولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حتّى تُنْفِقُوا ممَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بَيْرَحاءُ، وَإنَّها صَدَقَةٌ للهِ، أرْجو بِرَّها وَذُخرَها عِنْدَ اللهِ تَعالى؛ فَضَعْها يا رَسولَ اللهِ حَيْثُ أراكَ اللهُ تَعالى، فقالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلَّم: «بَخٍ! ذاكَ مالٌ رابِحٌ، ذاكَ مالٌ رابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ، وَأنا أرَى أنْ تَجْعَلَها في الأقْرَبِينَ»، فقالَ أبو طَلْحَةَ: أفْعَلُ يا رَسولَ اللهِ، فَقَسّمَها أبو طَلْحَةَ في أقارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ[(٢)].

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٥).

(٢) أخرجَه البُخاريّ (١٤٦١)، وَمسلم (٩٩٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣].

﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلًّا لِبَني إسْرائيلَ﴾ أيْ: حَلالًا لِبَني إسْرائيلَ، وَلَم يُحَرَّمْ عَلَيْهِم مِنْها. ﴿إلا مَا حَرَّمَ إسْرَائِيلُ﴾ أيْ: يَعْقوبُ، عَلَيْهِ السَّلامُ. ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ وَالَّذي حَرَّمَهُ على نَفْسِهِ هُوَ لُحومُ الإبِلِ وَأَلْبانُها، وَكانَ بِهِ عِرْقُ النَّسا، كَما قالَ ابنُ عَبّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْه. ﴿مِنْ قَبْلِ أنْ تُنَزَّلُ التَّوْراةُ﴾ أيْ: أنَّ ابْتِداءَ هَذا التَّحْرِيمِ لَمْ يَكُنْ في التَّوْراةِ الَّتي نَزَلَتْ عَلى موسى، عَلَيْهِ السَّلامُ، إنَّما كانَ قَبْلَ نُزولِها، فَلَمّا أنْزَلَ اللهُ التَّوْراةَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فيها بَعْضَ الطَّيِّباتِ؛ بِسَبَبِ بَغْيِهِمْ وَظُلْمِهِمْ، كَما قالَ تَعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذينَ هادوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبيلِ اللهِ كَثيرًا﴾ وَقَدِ ادَّعَتِ اليَهودُ أنَّ ذَلِكَ كانَ حَرامًا عَلى يَعْقوبَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، في التَّوْراةِ نَفْسِها؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالى تَكْذيبًا لَهُمْ قائلًا لِنَبِيِّه، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ فَأْتوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلوها إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ﴾ فَبُهِتوا وَلَمْ يأتوا بِها؛ فَقالَ اللهُ تَعالى، لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصلاة وَالسلام:

﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [آل عمران: ٩٤].

﴿فَمَنِ افْتَرى عَلى اللهِ الكَذِبَ﴾ أيْ: بِإضافَةِ هَذا التَّحْرِيمِ إلى اللهِ عَزَّ وَجلَّ في التَّوْراةِ مَكْتوبًا بِأيْدي بَعْضِ أحْبارِهِم. ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ ظُهورِ الحُجَّةِ وَالبَيانِ بِأنَّ التَّحْرِيمَ إنَّما كانَ مِنْ جِهَةِ يَعْقوبَ، عَلَيْهِ السَّلامُ. ﴿فَأولَئكَ هُمُ الظّالِمونَ﴾ المكابِرونَ، القائلونَ عَلى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: ٩٥].

﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ﴾ أيْ: قُلْ يا مُحَمَّدُ: صَدَقَ اللهُ في هَذا، وَفي جَميعِ ما أخْبَرَ بِهِ. ﴿فَاتَّبِعوا مِلَّةَ﴾ أيْ: دِينَ. ﴿إبْراهيمَ حَنيفًا﴾ أيْ: مائلًا عَنِ الأدْيانِ كُلِّها إلى دينِ الإسْلامِ. ﴿وما كانَ من المشْرِكينَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ أيْ: أوَّلَ مَسْجِدٍ. ﴿وُضِعَ لِلنّاسِ﴾ أيْ: بُنِيَ لِلْمؤمنينَ؛ لِعِبادَةِ اللهِ تَعالى. ﴿لَلَّذي بِبَكَّةَ﴾ مَكَّةَ، وَسُئِلَ سَعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: لِمَ سُمِّيَتْ بَكَّةَ؟ قالَ: لِأَنَّهُمْ يَتَباكونَ فيها. وَقيلَ: لأنَّ النّاسَ يَبُكُّ - أيْ: يَدْفَعُ - بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ فيَبُكُّ الرَّجُلُ المرْأَةَ، وَتَبُكُّ المرْأَةُ الرَّجُلَ، وَهذا القَوْلُ مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُما. ﴿مُبارَكًا﴾ كَثيرَ الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ الدّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ. ﴿وَهُدًى لِلْعالَمينَ﴾ لِأَنَّهُ قِبْلَةُ صَلاتِهِمْ. وَقَدْ أخْرَجَ الشَّيْخانِ، مِنْ حَديثِ أبي ذَرٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: "قُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، أيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أوَّلَ؟ قالَ: «المسْجِدُ الحَرامُ»، قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: «المسْجِدُ الأقْصى»، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُما؟ قالَ: «أرْبَعونَ سَنَةً، وَأيْنَما أدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ فَصَلِّ؛ فَهُوَ مَسْجِدٌ»"[(١)].

۞ ۞ ۞

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

﴿فيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ﴾ أيْ: المشاعِرُ وَالمناسِكُ كُلُّها، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَها فقالَ: ﴿مَقامُ إبْراهيمَ﴾[(٢)]؛ أيْ: مِنْ هَذِهِ الآياتِ البَيِّناتِ مَقامُ إبْراهيمَ. ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِنًا﴾ فَلا يُنالُ مَنِ الْتَجَأَ إلَيْهِ بِسوءٍ، وَلا أذًى، كَما قالَ تَعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النّاس مِنْ حَوْلِهِمْ﴾، وَكانَ ذَلِكَ اسْتِجابَةً لِدَعْوَةِ الخَليلِ، عَلَيْهِ السَّلامُ، حَيْثُ دَعا فَقالَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ﴾. وَفي الصَحيحَيْنِ، وَاللَّفْظُ لمُسْلِمٍ، عَنْ أبي شُرَيْحٍ العَدَويِّ، أنه قالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعيدٍ، وَهُوَ يَبْعَثُ البُعوثَ لِمَكَّةَ- يَعْني لِقِتالِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ-: "ائْذَنْ لي - أيُّها الأميرُ - أنْ

---

(١) أخرجَه البُخاريّ (٣٤٢٥)، وَمسلم (٥٢٠) واللفظ له.

(٢) ﴿مَقامُ﴾ مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ مَحْذوفٌ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أُحَدِّثَكَ قولًا، قالَ بِهِ رَسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، الغَدِ مِنْ يَوْمِ الفَتْحِ، - سَمِعَتْهُ أُذُناي، وَوَعاهُ قَلْبي، وَأبْصَرَتْهُ عَيْناي- حينَ تَكَلَّمَ بِهِ-: إنَّهُ حَمِدَ اللهَ وَأثْنى عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ: «إنَّ مَكَّةَ حَرَّمَها اللهُ وَلَمْ يُحَرِّمْها النّاسُ، فَلا يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أنْ يَسْفِكَ بِها دَمًا، أوْ يَعْضِدَ بِها شَجَرَةً، فَإنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتالِ رَسولِ الله، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فيها- أيْ: أخَذَ فيهِ بِالرُّخْصَةِ - فَقولوا لَهُ: إنَّ اللهَ أذِنَ لِنَبِيِّهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإنَّما أذِنَ لي فيها ساعَةً مِنْ نَهارٍ، وَقَدْ عادَتْ حُرْمَتُها اليَوْمَ كَحُرْمَتِها بِالأمْسِ، فَلْيُبَلِّغِ الشّاهِدُ الغائبَ»[(١)]. ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبيلًا﴾ أيْ: أنَّ حِجِّ بَيْتِ اللهِ الحَرامِ فَرْضٌ وَاجِبٌ للهِ، عزَّ وَجلَّ، عَلى مَنْ كانَ قادِرًا مُسْتَطيعًا، وَهَذِهِ الآيَةُ فيها فَرْضِيَّةُ الحِجِّ وَأنَّهُ رُكْنٌ مِنْ أرْكانِ الإسْلامِ. وَفي الصَحيحيْنِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الإسْلامُ عَلى خَمْسٍ؛ شَهادَةِ أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، وَإقامِ الصَّلاةِ، وَإيتاءِ الزَّكاةِ، وَصَوْمِ رَمَضانَ، وَحِجِّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبيلًا»[(٢)]. وَفي صَحيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: "خَطَبَنا رَسولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - فَقالَ: «يا أيُّها النّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الحِجَّ فحُجُّوا»، فقالَ رجلٌ: أكُلَّ عامٍ يا رَسولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ، حتّى قالَها ثلاثًا، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «لو قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجبَت، وَلما اسْتَطَعْتُمْ» ثُمَّ قالَ: «ذَروني ما تَرَكْتُكُمْ، فَإنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤالِهِمْ، وَاخْتِلافِهِمْ عَلى أنْبِيائِهِمْ، فَإذا أمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُمْ، وَإذا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»"[(٣)].

وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبيلًا﴾ الاسْتِطاعَةُ نَوْعانِ: اسْتِطاعَةٌ بَدَنِيَّةٌ،

---

(١) أخرجَه البُخاريّ (١٠٤)، وَمسلم (١٣٥٤) واللفظ له.

(٢) أخرجَه البُخاريّ (٨)، وَمسلم (١٦).

(٣) أخرجَه مسلم (١٣٣٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَاسْتِطاعَةٌ مالِيَّةٌ، وَالاسْتِطاعَةُ الماليَّةُ هِيَ الزّادُ وَالرّاحِلَةُ؛ فَمَنِ اسْتَطاعَ بِبَدَنِهِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ بِمالِهِ فَلا يَلْزَمُهُ الحِجُّ عَلى الصَّحيحِ، لِما رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قالَ: "قام رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ فقالَ: مَنِ الْحَاجُّ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: «الشَّعِثُ التَّفِلُ»، فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ فقالَ: أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ؟ قالَ: «الْعَجُّ وَالثَّجُّ»، فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ فقالَ: ما السَّبيلُ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ»"[1]. أخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإسْنادٍ ضَعيفٍ، وَلَهُ طُرُقٌ لا تَسْلَمُ مِنْ مَقالٍ، لَكِنْ يَشْهَدُ بَعْضُها لِبَعْضٍ؛ فَهِيَ مِنْ بابِ الحسنِ لِغَيْرِهِ، كَما قالَ العُلَماءُ: وَمَنِ اسْتَطاعَ بِمالِهِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ بِبَدَنِهِ فَإنَّهُ لا يَلْزَمُهُ أيْضًا، وَلَكِنْ يَلْزَمُهُ أنْ يوكِلَ غَيْرَهُ لِيَحُجَّ عَنْهُ؛ أجْزَأهُ ذَلِكَ بِسَبَبِ مَرَضِهِ أوْ ضَعْفِ بَدَنِهِ، لِحَديثِ ابْنِ عَبّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - قالَ: "كانَ الفَضْلُ رَديفَ النَّبِيِّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ، فَجاءَتِ امْرَأةٌ مِنْ خَثْعَمَ، فَجَعَلَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إلَيْها وَتَنْظُرُ إلَيْهِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَصْرِفُ وَجْهَ الفَضْلِ إلى الشِّقِّ الآخَرِ، فَقالَتْ: إنَّ فَريضَةَ اللهِ أدْرَكَتْ أبي شَيْخًا كَبيرًا، لا يَثْبُتُ عَلى الرّاحِلَةِ، أَفَأَحُجَّ عَنْهُ؟. قالَ: «نَعَمْ»"[2]. وَذلِكَ في حُجَّةِ الوَداعِ ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أيْ: جَحَدَ فَرْضَ الحَجِّ في قَوْلِ عامَّةِ السَّلَفِ. ﴿فَإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العالَمينَ﴾ وَاخْتَلَفَ العُلَماءُ في حُكْمِ تارِكِ الحَجِّ كَسَلًا، وَالقَوْلُ بِكُفْرِهِ رِوايَةٌ عَنِ الإمامِ أحْمَدَ، وَهُوَ قَوْلُ طائفَةٍ مِنَ السَّلَفِ. وَلَمْ يَثْبُتْ عَنِ النَّبِيِّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في تَكْفيرِهِ حَديثٌ، وَلا عَنْ أحَدٍ مِنَ الصَّحابَةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، إلّا ما صَحَّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّهُ قالَ: "مَنْ أطاقَ الحَجَّ وَلَمْ يَحُجّ، فَسَواءٌ عَلَيْهِ ماتَ يَهودِيًّا أوْ نَصْرانِيًّا"؛ فَالظّاهِرُ مِنْ هَذا، أنَّ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يَعْتَقِدُ كُفْرَهُ، وَهَذا الَّذي اسْتَظْهَرَهُ الإمامُ ابْنُ رَجَب، في كِتابِهِ (جامِعُ العُلومِ وَالحِكَمِ)، لَكِنَّ المرَجَّحَ عِنْدَ عامَّةِ أَهْلِ العِلْمِ أنَّهُ لا يُكَفَّرُ، وَهَلْ يَأثَمُ بِتَعَمُّدِ التَّأخيرِ أوْ لا؟ لَهُمْ في ذَلِكَ قَوْلانِ مَبْنِيّانِ

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٩٨).

(٢) أخرجه البُخاريّ (١٨٥٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلى أنَّ الحَجَّ هَلْ يَجِبُ عَلى الفَوْرِ أمْ عَلى التَّراخي؟ وَالصَّوابُ وُجوبُهُ عَلى الفَوْرِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَجَّلُوا إلَى الْحَجِّ – يَعْنِي: الْفَرِيضَة – فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ»[(١)]، وَقَوْلِهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ»[(٢)]؛ فَمَنْ أَخَّرَهُ لِغَيْرِ عُذْرٍ فَهُوَ عاصٍ للهِ تَعالى، وَمَنْ ماتَ وَالحالُ هَذِهِ فَهُوَ مُرْتَكِبٌ لِكَبيرَةٍ مِنَ الكَبائِرِ، وَاللهُ أعْلَمُ.

۞ ۞ ۞

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [آل عمران: ٩٨].

﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ﴾ مِنَ اليَهودِ وَالنَّصارى. ﴿لِمَ تَكْفُرونَ﴾ أيْ: تَجْحَدونَ. ﴿بِآياتِ اللهِ﴾ أيْ: القُرْآنِ الَّذي يُثبِتُ رِسالَةَ نَبِيِّنا مُحَمَّد صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ﴿وَاللهُ شَهيدٌ عَلى ما تَعْمَلونَ﴾ فَيُجازيكُمْ عَلَيْهِ.

۞ ۞ ۞

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران: ٩٩].

﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ﴾ مِنَ اليَهودِ وَالنَّصارى. ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾ كانَ صَدُّهُمْ عَن سَبيلِ اللهِ بِالتَّكْذيبِ بِالنَّبِيِّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَما جاءَ بِهِ. ﴿تَبْغونَها﴾ أيْ: تَطْلُبونَها. ﴿عِوَجًا﴾ زَيْغًا وَمَيْلًا، يَعْني: أنَّكُمْ تَطْلُبونَ لِمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسولِهِ مُحَمَّد – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – زَيْغًا وَمَيْلًا مِنَ الحَقِّ إلى الباطِلِ، وَمِنَ الهُدى إلى الضَّلالِ. ﴿وَأَنْتُمْ شُهَداءُ﴾ بِما تَجِدونَهُ في كُتُبِكُمْ مِنْ أنَّ النَّبِيَّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَما جاءَ بِهِ حَقٌّ. ﴿وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلونَ﴾ مِنَ الصَّدِّ عَنْ سَبيلِهِ، وَسَيُحاسِبُكُمْ عَلَيْهِ.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه أحمد (٢٨٦٧).

(٢)أخرجه أبي داود (١٧٣٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾ [آل عمران: ١٠٠].

هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ في الأوْسِ وَالخَزْرَجِ، حينَ أغْرى قَوْمٌ مِنَ اليَهودِ بَيْنَهُمْ لِيَفْتِنوهُمْ عَنْ دينِهِمْ ﴿ياأيُّها الَّذينَ آمَنوا إنْ تُطيعوا فَريقًا﴾ جَماعَةً. ﴿مِنَ الَّذينَ أُوتوا الكِتابَ يَرُدّوكُمْ﴾ أيْ: يُرْجِعوكُمْ. ﴿بَعْدَ إيمانِكُمْ كافِرينَ﴾ وَهَذِهِ الآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعالى في سورَةِ البَقَرَةِ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّارًا، حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾.

﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾ [آل عمران: ١٠١].

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرونَ﴾ بِاللهِ. ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللهِ﴾ القُرْآنُ وَفيهِ مِنَ الزَّواجِرِ وَالقَوارِعِ ما تَتَقَطَّعُ لَهُ القُلوبُ. ﴿وَفيكُمْ رَسولُهُ﴾ مُحَمَّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالآيَةُ فيها أنَّ التَّمَسُّكَ بِكِتابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسولِهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أعْظَمِ ما يُعينُ عَلى الثَّباتِ عَلى هَذا الدّينِ. ﴿ومَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ﴾ أيْ: وَمَنْ يَلْتَجِئْ إلى اللهِ، وَيَمْتَنِعْ بِهِ في كُلِّ أحْوالِهِ، وَيَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ، فَقَدْ هُدِيَ إلى الطَّريقِ الَّذي لا اعْوِجاجَ فيهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ﴾ صَحَّ عَنِ ابْنِ مَسْعودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنَّهُ قالَ في مَعْناها: "أنْ يُطاعَ فَلا يُعصى، وَيُذْكَرَ فَلا يُنسى، وَيُشْكَرَ فَلا يُكْفَرُ"، وَذَهَبَ بَعْضُ المُفَسِّرينَ أنَّ هَذِهِ الآيَةَ مَنْسوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعالى: ﴿فاتَّقوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ﴾ وَالصَّوابُ: عَدَمُ النَّسخِ، وَأنَّ آيَةَ [آلِ عُمْرانَ] مُفَسِّرَةٌ وَمُوَضِّحَةٌ لِآيَةِ التَّغابُنِ، كَما قَرَّرَهُ أبو العَبّاسِ ابْنُ تَيْمِيَةَ، وَغَيْرُهُ مِنَ المُحَقِّقينَ. ﴿وَلا تَمُوتُنَّ إلّا وَأنْتُمْ مُسْلِمونَ﴾ أيْ: كونوا عَلى الإسْلامِ، وَتَمَسَّكوا بِهِ إلى أنْ يَأتِيَكُمُ المَوْتُ وَأنْتُمْ عَلَيْهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

﴿وَاعْتَصِموا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا﴾ أيْ: تَمَسَّكوا بِكِتابِ اللهِ وَسُنَّتِهِ وَدينِهِ، وَمُوافَقَةِ جَماعَةِ المسْلِمينَ. ﴿وَلا تَفَرَّقوا﴾ كما افْتَرَقَتِ اليَهودُ وَالنَّصارى. عَن أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسول اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، قالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعالَى يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ يَرْضى لَكُمْ: أنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تُناصِحُوا مَنْ وَلَّى اللَّهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ، قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»[1]. وَوَرَدَ في السُّنَنِ، عَن النَّبِيِّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ وُجوهٍ، أنَّه قالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتي عَلى ثَلاثٍ وَسبعينَ فِرْقَةً: وَاحِدةٌ في الجَنَّةِ، وَثِنْتانِ وَسبْعونَ في النّارِ»[2]. وَرُوِيَ عَنْهُ أنَّهُ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالَ: «هِيَ الجَماعَةُ». وَفي حَديثٍ آخَرَ: «هِيَ مَنْ كانَ عَلى مِثْلِ ما أنا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحابي». ﴿وَاذْكُروا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً﴾ يَعْني: وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - يَامَعْشَرَ الْأَنْصَارِ - إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً قَبْلَ الْإِسْلَامِ، يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بِالإِسْلَامِ. ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ﴾ أيْ: وَكُنْتُمْ مُشرِفينَ عَلى دُخولِ النّارِ لَوْ مُتُّمْ عَلى ما كُنْتُمْ عَلَيْهِ. ﴿فَأَنْقَذَكُمْ﴾ فَنَجَّاكُمْ. ﴿مِنْها﴾ بِالإِسلامِ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. ﴿كَذَلِكَ﴾ أيْ: مِثْلَ هَذا البَيانِ الَّذي تُلِيَ عَلَيْكُمْ. ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدونَ﴾.

(١) أخرجه مسلم (١٧١٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)، وأبو داود (٤٥٩٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

[آل عمران: ١٠٤].

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ الآيَة. أيْ: وَلْيَكُنْ كُلُّكُمْ كَذَلِكَ، وَدَخَلَتْ (مِنْ) لِتَخْصيصِ المخاطَبينَ مِنَ المؤْمِنينَ.

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ﴾ قالَ الإمامُ القُرْطُبِيُّ: "وَ(مِنْ) في قَوْلِهِ (مِنْكُمْ) لِلتَّبْعيضِ، وَمعْناهُ: أنَّ الآمِرينَ يَجِبُ أنْ يَكونوا عُلَماءَ، وَلَيْسَ كُلُّ النّاسِ عُلَماءَ". وَقيلَ: لِبَيانِ الجِنْسِ، وَالمعْنى: لِتَكونوا كُلُّكُمْ كَذَلِكَ. قُلْتُ: القَوْلُ الأوَّلُ أصَحُّ، فَإنَّهُ يَدُلُّ عَلى أنَّ الأمْرَ بِالمعْروفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ المنْكَرِ فَرْضٌ عَلى الكِفايَةِ، وَقَدْ عَيَّنَهُمُ اللهُ تَعالى بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذينَ إنْ مَكَّنّاهُمْ في الأرْضِ أقامُوا الصَّلاةَ﴾.. الآيَةُ. وَلَيْسَ كُلُّ النّاسِ مُكِّنوا"[1]. انْتَهى بِتَصَرُّفٍ. ﴿أُمَّةٌ﴾ أيْ: جَماعَةٌ. ﴿يَدْعونَ إلى الخَيْرِ﴾ وَهُوَ اسْمٌ جامِعٌ لِكُلِّ ما يُحِبُّهُ اللهُ تَعالى وَيُقَرِّبُ إلَيْهِ. ﴿ويَأمُرونَ بِالمعْروفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ﴾ وَالمرادُ بِالمعْروفِ: ما حَسَّنَهُ الشَّرْعُ، وَتعارَفَ العُقَلاءُ عَلى حُسْنِهِ؛ وَالمنْكَرُ ضِدُّ ذَلِكَ. ﴿وَأُولَئكَ هُمُ المفْلِحونَ﴾ أيْ: هُمُ الفائزونَ الفَوْزَ التّامَّ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ. **وَفي الآيَةِ دَليلٌ** عَلى وُجوبِ الأمْرِ بِالمعْروفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المنْكَرِ، وَوُجوبُهُ ثابِتٌ بِالكِتابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُوَ مِنْ أعْظَمِ وَاجِباتِ الشَّريعَةِ، وَأصْلٌ عَظيمٌ مِنْ أُصولِها الرّاسِخَةِ. وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ العُلَماءِ أنَّهُ الرُّكْنُ السّادِسُ مِنْ أرْكانِ الإسْلامِ، وَإذا عُطِّلَ انْتَشَرَ الظُّلْمُ وَالفَسادُ في الأُمَّةِ، وَاسْتَحَقَّتْ لَعْنَةَ اللهِ. وَقَدْ لَعَنَ اللهُ الَّذينَ كَفَروا مِنْ بَني إسْرائيلَ؛ لِتَعْطيلِهِمْ هَذِهِ الشَّعيرَةَ العَظيمَةَ، كَما قالَ سُبْحانَهُ: ﴿لُعِنَ الَّذينَ كَفَروا مِنْ بَني إسْرائيلَ عَلى لِسانِ داودَ وَعيسى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِما عَصَوْا وَكانوا يَعْتَدونَ كانوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلوهُ لَبِئْسَ ما كانوا يَفْعَلونَ﴾.

(١) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ١٦٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥].

﴿وَلا تَكونوا﴾ أيُّها المؤمِنونَ. ﴿كَالَّذينَ تَفَرَّقوا﴾ أيْ: اليَهودِ وَالنَّصارى. ﴿وَاخْتَلَفوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ البَيِّناتُ﴾؛ أيْ: إنَّ اليَهودَ اخْتَلَفوا في دينِ اللهِ بَعْدَ موسى – عَلَيْهِ السَّلامُ – فَصاروا فِرَقًا، وَكَذَلِكَ النَّصارى.﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ﴾ وَهَذِهِ الآيَةُ فيها الأمْرُ بِالجَماعَةِ، وَالنَّهْيُ عَنْ الاخْتِلافِ وَالفُرْقَةِ، وَقَدْ أَهْلَكَ اللهُ مَنْ قَبْلَنا بِذَلِكَ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قالَ:"سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، يَقُولُ:«مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلى أَنْبِيَائِهِمْ»"(١).

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦].

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجوهٌ﴾ أيْ: يَوْمَ القِيامَةِ تَبْيَضُّ وُجوهُ الَّذينَ اسْتَقاموا عَلى إيمانِهِمْ. ﴿وَتَسْوَدُّ وُجوهٌ﴾ الَّذينَ انْحَرَفوا عَنِ الصِّراطِ المسْتَقيمِ، وَاتَّخَذوا دينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا. ﴿فأمَّا الَّذينَ اسودَّت وُجوهُهُمْ﴾ فَيُقالُ لَهُمْ: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ﴾ وَالخِطابُ لِمَن ارْتَدَّ عَنِ الإسْلامِ. وَقيلَ: لأَهْلِ الكِتابِ. وَكُفْرُهُمْ بَعْدَ إيمانِهِمْ، هُوَ كُفْرُهُمْ بِرَسولِ اللهِ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – بَعْدَ الإيمانِ بِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، وَقيلَ: لِلْمُنافِقينَ، تَكَلَّموا بِالإيمانِ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَأَنْكَروا بِقُلوبِهِمْ، وَقيلَ: لأَهْلِ البِدَعِ، وَقيلَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَاللهُ تَعالى أَعْلَمُ.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٧].

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أيْ: في جَنَّتِهِ. ﴿هُمْ فِيهَا خالِدون﴾ جَعَلَنا اللهُ تَعالى بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ مِنْهُمْ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [آل عمران: ١٠٨].

﴿تِلْكَ آياتُ اللهِ نَتْلوها﴾ أيْ: نَقُصُّها. ﴿عَلَيْكَ﴾ يا مُحَمَّدُ. ﴿بِالحَقِّ﴾ أيْ: بِالصِّدْقِ وَاليَقينِ وَالعَدْلِ. ﴿وما اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعالَمينَ﴾ أيْ: لا يُرِيدُ أنْ يُظْلَمَ أحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ.

۞ ۞ ۞

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾ [آل عمران: ١٠٩].

﴿وللهِ ما في السَّماواتِ وَما في الأرْضِ﴾ أيْ: وَللهِ - وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ - ما في السَّماواتِ وَالأرْضِ، مُلْكًا وَخَلْقًا وَتَدْبيرًا وَتَصَرُّفًا. ﴿وإلى اللهِ تُرْجَعُ الأُمورُ﴾ أيْ: كُلُّ الشُّؤونِ تَصيرُ إلَيْهِ، سُبْحانَهُ وَتَعالى.

۞ ۞ ۞

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

[آل عمران: ١١٠].

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت لِلنّاسِ﴾ أيْ: أنْتُمْ - يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَيْرُ الأُمَمِ الَّتي أخْرَجَها اللهُ لِلنّاسِ، ثُمَّ مَدَحَهُمْ بِما فيهِمْ مِنَ الخِصالِ؛ فَقالَ: ﴿تَأْمُرونَ بِالمَعْروفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنونَ بِاللهِ﴾ أيْ: وَتُصَدِّقونَ تَصْديقًا جازِمًا لاشَكَّ فيهِ، بِأنَّهُ لا مَعْبودَ بِحَقٍّ سِواهُ، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلى أنَّ الخَيْرِيَّةَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ مَنوطَةٌ بِتَحْقيقِ أَصْلَيْنِ عَظيمَيْنِ: أَوَّلُهُما: الأَمْرُ بِالمَعْروفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَثانيهُما: الإيمانُ بِاللهِ تَعالى؛ فَمَتى قامَت الأُمَّةُ بِتَحْقيقِ هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ العَظيمينِ اسْتَحَقَّتْ هَذا الفَضْلَ العَظيمَ الوارِدَ في الآيَةِ. ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتابِ﴾ مِنَ اليَهودِ وَالنَّصارى بِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ﴿لَكانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ في عاجِلِ دُنْياهُمْ، وَآجِلِ آخِرَتِهِمْ. ﴿مِنْهُمُ المُؤْمِنونَ﴾ بِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَهُمْ قِلَّةٌ؛ كَعَبْدِاللهِ بْنِ سَلامٍ، وَغَيْرِهِ ﴿وأكْثَرُهُمُ الفاسِقونَ﴾ الكافِرونَ بِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالعِياذُ بِاللهِ.

۞ ۞ ۞

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾

[آل عمران: ١١١].

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾ أيْ: هَؤلاءِ الفاسِقونَ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ. ﴿إلاَّ أذًى﴾ إلاَّ ضَرَرًا يَسيرًا بِاللِّسانِ الَّذي لا سَبيلَ إلى السَّلامَةِ مِنْهُ مِنْ كُلِّ مُعادٍ. ﴿وَإِنْ يُقاتِلوكُمْ يُوَلّوكُمُ الأدْبارَ﴾ هارِبينَ مُنْهَزِمينَ. ﴿ثُمَّ لا يُنْصَرونَ﴾ عَلَيْكُمْ، بَلْ تُنصَرونَ أنْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَهذا وَعْدٌ مِنَ اللهِ تَعالى - وَوَعْدُهُ لا يُخْلَفُ - بَلْ قَدْ تَحَقَّقَ، وَلَمْ يُقاتِلْ يَهودُ المدينَةِ رَسولَ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، إلّا انْهَزَموا، وَنَصَرَ اللهُ نَبِيَّهُ عَلَيْهِمْ.

۞ ۞ ۞

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران: ١١٢].

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ وَهِيَ الصَّغارُ. ﴿أيْنَما ثُقِفوا﴾ وُجِدوا وَصُودِفوا. ﴿إلّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النّاسِ﴾ أيْ: بِسَبَبٍ مِنَ اللهِ، أوْ بِسَبَبٍ مِنَ المؤْمنينَ، وَالسَبَبُ هُوَ العَهْدُ وَالذِّمَّةُ وَالأمانُ؛ فَلا يَأْمَنُ اليَهودُ عَلى أنْفُسِهِمْ وَذُرِّياتِهِمْ إلّا بِهَذا العَهْدِ، فَهُمْ أذِلّاءُ في كُلِّ مَكانٍ وَزَمانٍ، فَالذِّلَّةُ وَالمسْكَنَةُ لا تُفارِقُهُمْ أبدًا، كَما في آيَةِ البَقَرَةِ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِم الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِك بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ذَلِك بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ وَقَدْ اسْتَثْنى اللهُ تَعالى في آيَةِ آلِ عُمْرانَ الذِّلَّةَ، لا المسْكَنَةَ فَقالَ: ﴿إلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النّاسِ﴾ فَما نَراهُ اليَوْمَ مِنْ حالِهِمْ هُوَ مِنْ هَذا، وَاللهُ المسْتَعانُ. ﴿وَباءوا﴾ أيْ: رَجَعوا. ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِم الْمَسْكَنَةُ﴾ أيْ: الحاجَةُ وَالفاقَةُ. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كانوا يَكْفُرونَ بِآياتِ اللهِ وَيَقْتُلونَ الأنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِما عَصَوا وَكانوا يَعْتَدونَ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾

[آل عمران: ١١٣].

﴿لَيْسُوا سَواءً﴾ لَيْسَ أَهْلُ الكِتابِ مُتَساوينَ، بل: ﴿مِنْ أَهْلِ الكِتابِ أُمَّة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قائمَةٌ﴾ أيْ: عَلى الحَقِّ، وَمُطيعَةٌ وَمُسْتَقيمَةٌ عَلى دينِ اللهِ، وَهُمُ الَّذينَ آمَنوا بمُحَمَّدٍ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلامٍ، وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ. ﴿يَتْلونَ﴾ يَقْرؤونَ. ﴿آياتِ اللهِ﴾ كِتابَ اللهِ. ﴿آناءَ اللَّيلِ﴾ ساعاتِهِ. ﴿وَهُمْ يَسْجُدونَ﴾ أيْ: يُصَلّونَ.

۞ ۞ ۞

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٤].

﴿يُؤمِنونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ﴾ كَثيرًا ما يَقْرِنُ اللهُ تَعالى بَيْنَ الإيمانِ بِهِ، سُبْحانَهُ، وَالإيمانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ خاصَّةً دونَ سائرِ أرْكانِ الإيمانِ، وَبَيْنَهُما ارْتِباطٌ وَثيقٌ. وَالعُلَماءُ كانوا - وَلا يَزالونَ - يَتَلَمَّسونَ عِلَّةَ ذَلِكَ وَحِكْمَتَهُ؛ فَذَكَروا أنَّ الإيمانَ بِاللهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ هما أشْرَفُ أرْكانِ الإيمانِ وَأعْظَمُهُما، وَلِذا نُصَّ عَلَيْهِما، وَأنَّ الإيمانَ بِاللهِ تَعالى هُوَ الدّينُ أوْ لُبُّهُ، وَأنَّ الإيمانَ باليومِ الآخِرِ هُوَ فَيْصَلُ الإذْعانِ وَالتَّمَرُّدِ، وَلِذا مَنْ لَمْ يُؤمِنْ بِاليَوْمِ الآخِرِ لا يُمْكِنُ أنْ يُؤمِنَ بِاللهِ أصْلًا. ﴿وَيَأْمُرونَ بِالمَعْروفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ﴾ وَمِنْ أعْظَمِ أوْصافِهِمْ: أنَّهُمْ لَمْ يَقْتَصِروا عَلى صَلاحِ أنْفُسِهِمْ فَحَسْب، بَلْ حَرَصوا عَلى صَلاحِ غَيْرِهِمْ؛ وَذَلِكَ بِأَمْرِهِمْ بِالمَعْروفِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ المُنْكَرِ. ﴿ويُسارِعونَ في الخَيْراتِ وَأولَئكَ مِنَ الصّالِحينَ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: ١١٥].

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ أيْ: فَلَنْ يُجْحَدوا جَزاءَهُ، وَلَنْ يُحْرَموا ثَوابَهُ. ﴿وَاللهُ عَليمٌ بِالمتَّقينَ﴾ جَعَلَنا اللهُ تَعالى بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ مِنْهُمْ.

۞ ۞ ۞

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [آل عمران: ١١٦].

﴿إنَّ الَّذينَ كَفَروا﴾ الآيَة سَبَقَتْ في أوَّلِ هَذِهِ السّورةِ.

۞ ۞ ۞

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: ١١٧].

هَذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ – تَعالى – لِما يُنْفِقُهُ الكُفّارُ مِنْ أمْوالِهِمْ في هَذِهِ الحَياةِ الدُّنْيا، فقالَ: ﴿مَثَلُ ما يُنْفِقونَ في هَذِهِ الحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ ريحٍ فيها صِرٌّ﴾ أيْ: بَرْدٌ شَديدٌ. ﴿أصابَتْ﴾ الرّيحُ البارِدَةُ. ﴿حَرْثَ قَوْمٍ﴾ أيْ: زَرْعَهُمُ الَّذي يَرْجونَ أنْ يَعودَ عَلَيْهِمْ بِفائدَةٍ، كَرَجاءِ الكُفّارِ ثَوابَ نَفَقاتِهِمْ في الآخِرَةِ. ﴿ظَلَموا أنْفُسَهُمْ فأهْلَكَتْهُ﴾ أيْ: بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ لأنْفُسِهِمْ بِالذُّنوبِ وَالمعاصي احْتَرَقَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ أصْحابُهُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَلَمْ يَعُدْ عَلَيْهِمْ بِأيِّ فائدَةٍ؛ فَكَذلِكَ ما يُنْفِقُهُ الكُفّارُ في الدُّنْيا، يُبْطِلُهُ اللهُ تَعالى في الآخِرَةِ، وَلا يَنْتَفِعونَ مِنْهُ بِأيِّ فائدَةٍ، فَنَفَقاتُهُمْ كَزَرْعِ هَذا الظالِمِ نَفْسِهِ، تَذْهَبُ هَباءً مَنْثورًا، وَالعِياذُ بِاللهِ. ﴿وَما ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾ حينَ لَمْ يَتَقَبَّلْ مِنْهُمْ نَفَقاتِهِمْ. ﴿وَلَكِنْ أنْفُسَهُمْ يَظْلِمونَ﴾ بِالكُفْرِ وَالمعاصي.

۞ ۞ ۞

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران: ١١٨].

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تَتَّخِذوا بِطانَةً﴾ أيْ: دُخَلاءَ وَخواصَّ وَأصْفِياءَ وَأوْلِياءَ. ﴿مِنْ دونِكُمْ﴾ مِنْ غَيْرِكُمْ؛ كَاليَهودِ وَالنَّصارى وَالمنافِقينَ، تُظْهِرونَهُمْ عَلى أسْرارِكُمُ الخاصَّةِ. ﴿لا يَأْلونَكُمْ خَبالًا﴾ أيْ: لا يُقَصِّرونَ جُهْدَهُمْ في مَضَرَّتِكُمْ وَفَسادِكُمْ. ﴿وَدُّوا ما عَنِتُّمْ﴾ تَمَنَّوا لَكُمُ العَنَتَ وَالمشَقَّةَ في أنْفُسِكُمْ وَدينِكُمْ. ﴿قَدْ بَدَتِ البَغْضاءُ﴾ أيْ: ظَهَرَتِ العَداوَةُ. ﴿مِنْ أفْواهِهِمْ﴾ مِنْ فَلَتاتِ ألْسِنَتِهِمْ. ﴿وَما تُخْفي صُدورُهُمْ﴾ أي: وَما تُضْمِرُهُ قُلوبُهُمْ مِنَ العَداوَةِ وَالحِقْدِ وَالغَيْظِ. ﴿أكْبَرُ قَدْ بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ﴾ أيْ: العَلاماتِ وَالصِّفاتِ الّتي تَعْرِفونَ بِها أعْداءَكُمْ. ﴿إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلونَ﴾ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ.

۞ ۞ ۞

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: ١١٩].

﴿ها أَنْتُمْ﴾ مَعْشَرَ المؤْمِنينَ. ﴿أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ أيْ: تُريدونَ لَهُمُ الإسْلامَ وَالخَيْرَ(١). ﴿تُحِبّونَهُمْ وَلا يُحِبّونَكُمْ﴾ أيْ: وَهُمْ لا يَريدونَ لَكُمْ إلّا الكُفْرَ وَالشَّرَّ. ﴿وَتُؤمِنونَ بِالكِتابِ كُلِّهِ﴾ أيْ: بِالقُرآنِ، وَبِالكُتُبِ كُلِّها الَّتي كانَتْ قَبْلَهُ، وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ.﴿وَإذا لَقوكُمْ قالوا﴾ نِفاقًا: ﴿آمَنّا﴾ بِدينِكُمْ وَبِنَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.﴿وَإذا خَلَوْا﴾ أيْ: فارَقوكُمْ. ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنامِلَ﴾ أيْ: أطْرافَ الأصابِعِ.﴿مِنَ الغَيْظِ﴾ أيْ: مِنْ شِدَّةِ الغَيْظِ عَلَيْكُمْ، وَالغَيْظُ: أشَدُّ الغَضَبِ، وَعَضُّهُمُ الأنامِلَ كِنايَةٌ عَنْ شِدَّةِ غَضَبِهِمْ، وَحَقْدِهِمْ عَلى المؤْمِنينَ؛ لِما يَرَوْنَ مِن ائْتِلافِهِمْ وَاجْتِماعِ كَلِمَتِهِمْ. ﴿قُلْ موتوا بِغَيْظِكُمْ﴾ أمَرَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ أنْ يَدْعوَ عَلَيْهِمْ بِدَوامِ غَيْظِهِمْ إلى أنْ يَموتوا. ﴿إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بِما فيها مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠].

﴿إنْ تَمْسَسْكُمْ﴾ أيْ: تُصِبْكُمْ أيُّها المؤْمِنونَ. ﴿حَسَنَةٌ﴾ نِعْمَةٌ مِنْ نَصْرٍ وَغَنيمَةٍ. ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تُحْزِنْهُمْ. ﴿وَإنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كَنُزولِ مُصيبَةٍ بِكُمْ، وَالمسُّ وَالإصابَةُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، كَما قالَ تَعالى: ﴿إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ الآيَةُ. ﴿يَفْرَحُوا بِهَا وَإنْ تَصْبِرُوا﴾ عَلى ما تَسْمَعونَ مِنْ أذاهُمْ. ﴿وَتَتَّقوا﴾ مُقارَبَتَهُمْ وَمُخالَطَتَهُمْ. ﴿وإنْ تَصْبِروا﴾ عَلى تَكاليفِ الدّينِ وَمَشاقِّهِ. ﴿وتَتَّقوا﴾ اللهَ في امْتِثالِكُمْ أوامِرَهُ، وَاجْتِنابِكُمْ نَواهيَهُ. ﴿لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ عَداوَتُهُمْ. ﴿شَيْئًا﴾ وَهذا تَعْليمٌ وَإرْشادٌ مِنَ اللهِ تَعالى لِلْمُؤْمِنينَ إلى أنْ يَسْتَعينوا عَلى كَيْدِ العَدوِّ، بِالصَّبْرِ وَالتَّقْوى وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ — سُبْحانَهُ – لِلسَّلامَةِ مِنْ شَرِّهِمْ وَكَيْدِهِمْ. ﴿إنَّ اللهَ بِما يَعْمَلونَ مُحيطٌ﴾

(١) (ها) لِلتَّنْبيهِ، وَ(أَنْتُمْ) مُبْتَدَأ، وَ(أُولاءِ) خَبَرُهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عالِمٌ بِجَميعِ ذَلِكَ، حافِظٌ لا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ، وَسُيَعاقِبُهُمْ عَلَيْهِ.

۞ ۞ ۞

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران: ١٢١].

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ يَعْني: وَاذْكُرْ إِذْ خَرَجْتَ يَوْمَ أُحُدٍ؛ لأَنَّ مَا بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ آخِرِ السّورَةِ تَتَعَلَّقُ بِغَزْوَةِ أُحُدٍ. ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾ مِنْ مَنْزِلِ عائشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْها. ﴿تُبَوِّئُ﴾ تُهَيِّئُ وَتُنَظِّمُ لِلْمُؤْمِنينَ. ﴿مَقاعِدَ﴾ مَواضِعَ وَأَماكِنَ. ﴿لِلْقِتالِ وَاللهُ سَميعٌ﴾ لِقَوْلِكُمْ. ﴿عَليمٌ﴾ بِما في قُلوبِكُمْ.

۞ ۞ ۞

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

[آل عمران: ١٢٢].

﴿إِذْ هَمَّتْ﴾ أيْ: حَدَّثَتْ نَفْسَها. ﴿طائفَتانِ مِنْكُمْ﴾ وَهُمْ بَنو سَلِمَةَ، وَبنو حارِثَةَ كَما رَوى البُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ، عَن جابرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: "فينا نَزَلَتْ: ﴿إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُما..﴾ قالَ: نَحْنُ الطائفتانِ: بَنو حارِثَةَ، وَبنو سَلِمَةَ، وَما نُحِبُّ أَنَّها لَمْ تَنْزِلْ؛ لِقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُما﴾". ﴿أَنْ تَفْشَلا﴾ أَنْ تَجْبُنا وَتَضْعُفا فَتَرْجِعا، فَهُمْ هَمُّوا بِالانْصِرافِ عَنِ الحَرْبِ في غَزْوَةِ أُحُدٍ مَعَ رَأسِ المنافِقينَ، عَبْدِاللهِ بْنِ أُبَيٍّ، فَعَصَمَهُمُ اللهُ وَثَبَّتَهم، وَلطف بهم، وَمضوا مَعَ رَسول اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ﴿وَاللهُ وَلِيُّهما﴾ حينَ عَصَمَهُما وَثَبَّتَهُما، وَلَم يَرْجِعا مَعَ المنافِقينَ؛ وَلِهَذا قالَ جابِرٌ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "وما نُحِبُّ أَنَّها لَمْ تَنْزِلْ"[1] لِماذا؟ لأَنَّ اللهَ تَعالى وَلِيُّنا. ﴿وَعلى اللهِ فَلْيَتَوَكِّلِ المؤْمِنونَ﴾ أيْ: فَلْيَتَوَكَّلوا عَلَيْهِ تَعالى - وَحده - لا عَلى غَيْرِهِ؛ لِيَنْصُرَهُمْ كَما نَصَرَهُمْ في غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرى، وَلِهَذا قالَ اللهُ تَعالى مُذَكِّرًا نَبِيَّهُ، وَالمؤْمِنينَ بِنَصْرِهِ لَهُمْ في غَزْوَةِ بَدْرٍ:

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه مسلم (٢٥٠٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بِقِلَّةِ العَدَدِ، وَقِلَّةِ السِّلاحِ؛ لا بِسَبَبِ جُبْنِهِمْ. ﴿فَاتَّقوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرونَ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

[آل عمران: ١٢٤].

﴿إِذْ تَقولُ لِلْمُؤْمنينَ﴾ يَوْمَ بَدْرٍ: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الملائكَةِ﴾ مُتَعلِّقانِ بِمَحْذوفٍ، صِفَة ثَلاثَةِ آلافٍ، ﴿مُنْزَلِينَ﴾ صِفَةٌ ثانِيَةٌ.

۞ ۞ ۞

﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٥].

﴿بَلى﴾ تَصْديقٌ لِوَعْدِ اللهِ. ﴿إنْ تَصْبِروا﴾ عَلى لِقاءِ العَدوِّ. ﴿وَتَتَّقوا﴾ اللهَ تَعالى بِفِعْلِ أوامِرِهِ، وَاجْتِنابِ نَواهيهِ. ﴿وَيَأتوكُمْ﴾ أيْ: كُفّارُ قُرَيْشٍ. ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ هَذا﴾ أيْ: مِنْ ساعَتِهِمْ هَذِهِ لِيُحارِبوكُمْ، وَقَد اسْتَعْدَدْتُمْ لَهُمْ، إذا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ. ﴿يُمْدِدْكُمْ﴾ يُعينُكُمْ. ﴿رَبُّكُمْ﴾ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ. ﴿بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمينَ﴾ مُعلَّمينَ بِالعَلاماتِ الظّاهِرَةِ، وَقَدْ وَعَدَهُمُ اللهُ تَعالى بِأَلْفٍ كَما في آيَةِ الأنْفالِ، ثُمَّ صارَتْ ثَلاثَةُ آلافٍ كَما في الآيَةِ السّابِقَةِ، ثُمَّ صارَتْ خَمْسَةً كَما في هَذِهِ الآيَةِ.

۞ ۞ ۞

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾

[آل عمران: ١٢٦].

﴿وَما جَعَلَهُ اللهُ﴾ أيْ: ذَلِكَ النَّصْرَ وَالإمْدادَ بِالملائكَةِ، وَالوعْدَ بِذَلِكَ. ﴿إلاَّ بُشْرى﴾ أيْ: بِشارَةً لَكُمْ، وَهِيَ مَفْعولٌ لِأَجْلِهِ. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ أيْ: تَسْكُنَ. ﴿قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ فَلا تَجْزَعَ مِنْ كَثْرَةِ العَدوِّ، وَقِلَّةِ العَدَدِ. ﴿وَما النَّصْرُ إلاّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ أيْ: النَّصْرُ حَقيقَةً لا يَكونُ إلّا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَحْدَهُ، لا مِنْ قِبَلِ المَدَدِ الَّذي يَأْتيكُمْ مِنَ الملائكَةِ؛ وَلِهَذا قالَ ابْنُ زَيْدٍ: "لَوْ شاءَ أنْ يَنْصُرَكُمْ بِغَيْرِ الملائكَةِ فَعَلَ؛ لأنَّهُ عَزيزٌ في انْتِقامِهِ،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حَكيمٌ في تَدْبيرِهِ"؛ فَالنَّصْرُ لَيْسَ بِقِلَّةِ العَدَدِ وَلا كَثْرَتِهِ، وَلَكِنَّهُ مِنْ لَدُنْ عَزيزٍ حَكيمٍ.

۞ ۞ ۞

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آل عمران: ١٢٧].

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أيْ: نَصَرَكُمُ اللهُ تَعالى بِبَدْرٍ، لِيُهْلِكَ طائِفَةً. ﴿مِنَ الَّذينَ كَفَروا﴾ وَقَدْ قُتِلَ في هَذِهِ الغَزْوَةِ العَظيمَةِ أئِمَّةُ الكُفْرِ، وَقادَةُ المشْرِكينَ؛ كأبي جَهْلٍ وَغَيْرِهِ، وَأُسِرَ أيْضًا مَجْموعَةٌ كَبيرَةٌ مِنْهُمْ. ﴿أوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أيْ: يُذِلَّهُمْ وَيُخْزِيَهُمْ. ﴿فَيَنْقَلِبوا﴾ أيْ: يَرْجِعوا. ﴿خائبينَ﴾ أيْ: لَمْ يَنالوا شَيْئًا مِمّا يُؤَمِّلونَهُ.

۞ ۞ ۞

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨].

ذَكَرَ المفَسِّرونَ في سَبَبِ نُزولِ هَذِهِ الآيَةِ رِواياتٍ؛ مِنْها ما أخْرَجَهُ البُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ، عَن أبي هُرَيْرَةَ: أنَّ رَسولَ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كانَ إذا أرادَ أنْ يَدْعُوَ عَلى أحَدٍ، أوْ يَدْعُوَ لِأحَدٍ، قَنَتَ بَعْدَ الرُّكوعِ، فَرُبَّما قالَ، إذا قالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ: «اللَّهُمَّ رَبَّنا وَلَكَ الحَمْدُ، اللَّهُمَّ أنْجِ الوَليدَ بْنَ الوَليدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشامٍ، وَعَياشَ بْنَ أبي رَبيعَةَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأتَكَ عَلى مُضَرَ، وَاجْعَلْها عَلَيْهِم سِنينَ كَسِنِيّ يُوسُفَ»[1]. يَجْهَرُ بِذَلِكَ. وَكانَ يَقولُ في بَعْضِ صَلاتِهِ في صَلاةِ الفَجْرِ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلانًا وَفُلانًا» لِأحْياءٍ مِنَ العَرَبِ، حتّى أنْزَلَ اللهُ تَعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وَفي لَفْظٍ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ لِحيانَ وَرِعلًا وَذِكْوانَ وَعُصَيَّةَ، عَصَتِ اللهَ وَرسولَهُ». ثُمَّ بَلَغَنا: أنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ لَمّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ.

وَمِنْها ما أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، عَنْ أنَسٍ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟»؛ فَأنْزَلَ اللهُ تَعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٠)، ومسلم (٦٧٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾[1]، فَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أيْ: لَيْسَ لَكَ مِنْ أمْرِ النّاسِ شَيْءٌ، وَإنَّما أمْرُهُمْ إلى اللهِ وَحْدَهُ، أمّا أنْتَ — يا مُحَمَّدُ – فَمَأمورٌ بِالبَلاغِ فَقَطْ، كَما قالَ تَعالى: ﴿فإنَّما عَلَيْكَ البَلاغُ وَعَلَيْنا الحِسابُ﴾ ﴿أوْ يَتوبَ عَلَيْهِمْ﴾ مِمّا هُمْ فيهِ مِنَ الكُفْرِ فَيَهْدِيَهُمْ إلى الإسْلامِ، مِثْلَ: صَفْوانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَالحارِثِ بْنِ هِشامٍ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو؛ فَهَؤلاءِ تابوا فَتابَ اللهُ عَلَيْهِمْ. ﴿أوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ على كُفْرِهِمْ إذا ماتوا عَلَيْهِ. ﴿فَإنَّهُمْ ظالِمونَ﴾ وَهَذِهِ الآيَةُ العَظيمَةُ تُبَيِّنُ لَنا أنَّ النَّبِيَّ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بَشَرٌ، وَأنَّهُ لايَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ولا لِغَيْرِهِ شَيْئًا، وَأنَّهُ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – لَمْ يَقْدِرْ أنْ يَدْفَعَ أذى المشْرِكينَ عَنْ نَفْسه وَلا عَنْ أصْحابِهِ، بل كُسِرَتْ رَباعِيَتُهُ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ – بأبي هُوَ وَأُمّي، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَمَعَ ذَلِكَ، لَجَأَ إلى اللهِ تَعالى وَحْدَهُ؛ لأنَّ الأمْرَ كُلَّهُ بِيَدِهِ، وَحْدَهُ لا شريك لَهُ، فهَذِهِ الآيَةُ فِي الحَقيقَةِ تَدُلُّ دلالَةً وَاضِحَةً عَلى بُطْلانِ الشِّرْكِ مِنْ أساسِهِ؛ فإذا كانَ الرَّسولُ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَهُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأفْضَلُ الخَلْقِ، وَأقْرَبُهُمْ إلى اللهِ، وَأعْظَمُهُمْ مَنْزِلَةً، لَمْ يَدْفَعْ عَنْ نَفْسِهِ الأذى، وَلا عَنْ أصْحابِهِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُم – وَهُمْ أفْضَلُ النّاسِ بَعْدَ الأنْبِياءِ؛ فَغَيْرُهُمْ مِنَ الأوْلياءِ وَالصّالِحينَ مِنْ بابِ أوْلى، وَاللهُ المسْتَعانُ.

۞ ۞ ۞

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

[آل عمران: ١٢٩].

﴿وَللهِ ما في السَّماواتِ وَما في الأرْضِ﴾ هَذِهِ الآيَةُ ـ وَاللهُ أعْلَمُ ـ تَأكيدٌ لِلآيَةِ السّابِقَةِ. ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ﴾ وَالمعْنى: أنَّ الأمْرَ إنَّما يَكونُ لِمَنْ لَهُ جَميعُ ما في السَّمواتِ وَما في الأرْضِ، مِلْكًا وَخَلْقًا وَتَصَرُّفًا وَتَدْبيرًا، فَ ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ غَفورٌ رَحيمٌ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠﴾ [آل عمران: ١٣٠].

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَأْكُلوا الرِّبا أضْعافًا مُضاعَفَةً﴾ لا مَفْهومَ لَهُ؛ لأنَّهُ خَرَجَ مَخْرَجَ الغالِبِ؛ فَقَليلُ الرِّبا وَكَثيرُهُ حَرامٌ، وَكانوا في الجاهِلِيَّةِ يَزيدونَ الدَّيْنَ مُقابِلَ التَّأخيرِ؛ حتّى يَتَضاعَفَ الدَّيْنُ فَيُصْبِحَ أضْعافًا كَثيرَةً، فَيَبيعُ الرَّجُلُ أخاهُ شَيْئًا إلى أجَلٍ، فَإذا حَلَّ الأجَلُ وَلَم يَجِدْ سَدادًا، قالَ لَهُ: أَخِّرْ وَزِدْ. ﴿وَاتَّقوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحونَ﴾

۞ ۞ ۞

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١].

أيْ: امْتَثِلوا أوامرَ اللهِ جَلَّ وَعَلا، وَاجْتَنِبوا نَواهيَهُ، وَمنها: تَرْكُ أكْلِ الرِّبا؛ فإنَّهُ وَقايَةٌ لَكُمْ مِنَ النّارِ. ﴿الَّتي أُعِدَّتْ﴾ أيْ: هُيِّئَتْ. ﴿لِلْكافِرينَ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٢ - ١٣٣].

﴿وَسارِعوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أيْ: وَبادِروا بِفِعْلِ الطّاعاتِ، وَاجْتِنابِ المحَرَّماتِ الَّتي توجِبُ لَكُمْ مَغْفِرَةً مِنَ اللهِ تَعالى لِذُنوبِكُمْ، وَتوصِلُكُمْ إلى: ﴿جَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ وَالأرْضُ﴾ أيْ: وَاسِعَةٌ جِدًّا كَعَرْضِ السَّماواتِ وَالأرَضينَ. وَثَبَتَ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنَّ رَجُلًا جاءَ إلى النَّبِيِّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - فقالَ: "أرَأيْتَ قَوْلَهُ- تعالى-: ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ﴾ فَأيْنَ النّارُ؟ قالَ: «أرَأيْتَ اللَّيْلَ إذا جاءَ لَبسَ كُلَّ شَيْءٍ، فَأيْنَ النَّهارُ؟» قالَ: حَيْثُ شاءَ اللهُ، فَقالَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكَذَلِكَ النّارُ تَكونُ حَيْثُ شاءَ اللهُ»[1]. ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقينَ﴾ جَعَلَنا اللهُ تَعالى بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ مِنْهُمْ.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه البَزّارُ (٩٣٨٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ذَكَرَ اللهُ تَعالى في هَذِهِ الآيَةِ أوْصافَ المتَّقينَ، فَقالَ: ﴿الَّذينَ يُنْفِقونَ في السَّرّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ أيْ: في اليُسْرِ وَالعُسْرِ، وَكَثْرَةِ المالِ وَقِلَّتِهِ. ﴿وَالكاظِمينَ الغَيْظَ﴾ الكافّينَ غَضَبَهُمْ، مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلى الانْتِقامِ؛ وَهَذِهِ الآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وإذا ما غَضِبوا هُمْ يَغْفِرونَ﴾ وَعنْ مُعاذِ بْنِ أَنَسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ - سُبحَانَهُ وَتَعَالى - عَلى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، حتّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ»(١).

﴿وَالعافينَ عَنِ النّاسِ﴾ أيْ: العافينَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَأساءَ إلَيْهِمْ، وَقَدْ وَرَدَتْ أدِلَّةٌ كَثيرَةٌ في فَضْلِ الإنْفاقِ وَكَظْمِ الغَيْظِ، وَالعَفْوِ عَنِ النّاسِ، يَطولُ بنا المقامُ عِنْدَ ذِكْرِها. ﴿وَاللهُ يُحِبُّ المحْسِنينَ﴾ أيْ: يُحِبُّ مَنْ يَتَّصِفُ بِهَذِهِ الصِّفاتِ العَظيمَةِ.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

﴿وَالَّذينَ إذا فَعَلوا فاحِشَةً﴾ المرادُ بِالفاحِشَةِ هُنا: كَبائِرُ الذُّنوبِ؛ كَالزِّنا وَالسَّرِقَةِ. ﴿أوْ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ﴾ يَعْني: بِارْتِكابِ ما دُونَ الكَبائِرِ، وَبَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ يَقولُ: إنَّ الفاحِشَةَ وَالظُّلْمَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَأنَّ ﴿أوْ﴾ في الآيَةِ بِمَعْنى (الواو)؛ وَلِهَذا قالَ النَّخْعِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ: "الظُّلْمُ مِنَ الفاحِشَةِ، وَالفاحِشَةُ مِنَ الظُّلْمِ". لَكِنَّ الأظْهَرَ التَّفْريقُ، وَاللهُ تَعالى أعْلَمُ بِمُرادِهِ. ﴿ذَكَروا اللهَ﴾ أيْ: ذَكَروا عِقابَ اللهِ. ﴿فَاسْتَغْفَروا لِذُنوبِهِمْ﴾ أيْ: طَلَبوا المغْفِرَةَ مِنَ اللهِ تَعالى، وَهِيَ: السَّتْرُ عَلى ذَنْبِهِمْ، وَالتَّجاوُزُ عَنْهُ. ﴿ومَنْ يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلّا اللهُ﴾ أيْ: لا أحَدَ يَسْتُرُ الذُّنوبَ وَيَتَجاوَزُ عَنْها إلّا اللهُ تَعالى، بَلْ إنَّهُ - سُبْحانَهُ- «يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتوبَ مُسيءُ النَّهارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهارِ لِيَتوبَ مُسيءُ

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللَّيْلِ». كما صَحَّ في صَحيحِ مُسْلِمٍ، مِنْ حَديثِ أبي موسى الأشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ أيْ: لَمْ يُقيموا. ﴿عَلى ما فَعَلوا﴾ أيْ: عَلى المَعْصِيَةِ. ﴿وَهُمْ يَعْلَمونَ﴾ أنَّ الَّذي أتَوْهُ مَعْصِيَةٌ، بَلْ أقْلَعوا عَنْ مَعْصِيَتِهِمْ، وَنَدَموا عَلى ما بَدَرَ مِنْهُمْ، وَتابوا إلى اللهِ - تَبارَكَ وَتَعالى - تَوْبَةً صادِقَةً. وَقَدْ وَرَدَ عَنِ الصِّدّيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنَّهُ قالَ: "سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقولُ: «ما مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطّهورَ، ثُمَّ يَقومُ فَيُصَلّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ، إلّا غَفَرَ اللهُ لَهُ». ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَالَّذينَ إذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمونَ﴾[1].

۞ ۞ ۞

﴿أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾

[آل عمران: ١٣٦ - ١٣٧].

يُعَزّي اللهُ المؤمِنينَ لما أُصيبُوا في غُزْوَةِ أُحُدٍ، وَشُجَّ رَأْسُ النَّبِيِّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكُسِرَتْ رَباعِيَّتُهُ، وَقُتِلَ مِنْ أصْحابِهِ سَبْعونَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأرْضاهُمْ، فَيَقولُ - سُبْحانَهُ - مُسَلِّيًا لَهُمْ وَمُعَزِّيًا: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ أيْ: قَدْ مَضَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الأُمَمِ الكافِرَةِ سِيَرٌ وَوَقائِعُ وَطرائِقُ، بِإمْهالي إيَّاهُمْ حَتّى يَبْلُغوا الأجَلَ الَّذي أجَّلْتُهُ في إهْلاكِهِمْ مِثْلَ: قَوْمِ نوحٍ، وَعادٍ، وَثَمودَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ تَكونُ العاقِبَةُ لِلْمُتَّقينَ. ﴿فَسيرُوا في الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عَاقِبَةُ المكذِّبين﴾ وَاعْتَبِروا بِهِمْ فَإنَّهُمْ عِبْرَةٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ، **فهَذِهِ الآيَةُ** العَظيمَةُ تَدْعو إلى الاعْتِبارِ وَالاتِّعاظِ بِأحْوالِ الأُمَمِ الماضِيَةِ الَّتي كَذَّبَت الرُّسُلَ، وَكَيْفَ أنَّ اللهَ أمْهَلَهُمْ حَتّى أخَذَهُمْ أخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ، وَجَعَلَ العاقِبَةَ لِلْمُتَّقينَ، وَهَذِهِ مِنْ سُنَنِ اللهِ العَظيمَةِ الَّتي لا يُمْكِنُ أنْ تَتَغَيَّرَ أوْ تَتَبَدَّلَ.

۞ ۞ ۞

(١) أخْرَجَهُ أبو داوُدَ (١٥٢١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨].

﴿هَذا بَيانٌ لِلنّاسِ﴾ أيْ: القُرآنُ بَيانٌ للنَّاسِ عامَّةً؛ مُؤْمِنِهِمْ وَكافِرِهِمْ، وَهَذا قَوْلُ بَعْضِ المفَسِّرِينَ وَهُوَ الأقْرَبُ، وَقالَ ابْنُ إسْحاقَ: ﴿هَذا﴾ إشارَةٌ إلى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ الآيَة، وَاخْتارَهُ الإمامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ. ﴿وَهدىً﴾ أيْ: أنَّ هَذا القُرْآنَ يَدُلُّ عَلى الهُدى وَالنّورِ. ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فَالبَيانُ إذًا لِعامَّةِ النّاسِ مؤمِنِهِمْ وَكافِرِهِمْ، وَالهُدى وَالمَوْعِظَةُ لِلْمُتَّقِينَ خاصَّةً، جَعَلَنا اللهُ تَعالى بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ مِنْهُمْ. وَاللهُ أعْلَمُ.

۞ ۞ ۞

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

﴿وَلا تَهِنوا﴾ مِنَ الوَهنِ، وَهُوَ الضَّعْفُ، أيْ: وَلا تَضْعُفوا عَنْ جِهادِ عَدُوِّكُمْ أيُّها المؤْمِنونَ. ﴿وَلا تَحْزَنوا﴾ مِنَ الحزْنِ، وَهُوَ تَأَلُّمُ القَلْبِ لأمْرٍ مَكْروهٍ وَقَعَ بِالفِعْلِ، أيْ: لا تَحْزَنوا عَلى ما أصابَكُمْ. ﴿وَأنْتُمُ الأعْلَوْنَ﴾ أيْ: لَكُمْ تَكونُ العاقِبَةُ بِالنَّصْرِ وَالظَّفرِ. ﴿إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ﴾ أيْ: إنَّ الإيمانَ يُوجِبُ ما ذُكِرَ مِنْ تَرْكِ الوَهَنِ وَالحزْنِ.

۞ ۞ ۞

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[آل عمران: ١٤٠].

﴿إنْ يَمْسَسْكُمْ﴾ يُصِبْكُمْ. ﴿قَرْحٌ﴾ جِراحٌ وَقَتْلٌ يَوْمَ أُحُدٍ. ﴿فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ﴾ المشْرِكِينَ. ﴿قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ يَوْمَ بَدْرٍ، وَلا شَكَّ أنَّ الأُسْوَةَ مَسْلاةٌ لِلْبَشَرِ. ﴿وَتِلْكَ الأيّامُ﴾ أيْ: أيَّامُ الدُّنْيا. ﴿نُداوِلُها﴾ نُصَرِّفُها. ﴿بَيْنَ النّاسِ﴾ مَرَّةً لِفِرْقَةٍ، وَمَرَّةً عَلَيْها، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللهِ تَعالى الجارِيَةُ في كَوْنِهِ؛ فَلا تُنْكِروا أنْ يُدالَ عَلَيْكُمُ الكُفّارُ، فَالحَرْبُ سِجالٌ، وَالأيّامُ دُوَلٌ، وَالدَّهْرُ قُلَّبٌ، كَما قالَ القائلُ:

فَيَوْمٌ عَلَيْنا وَيَوْمٌ لَنا... ❧ وَيَوْمٌ نُساءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ

﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذينَ آمَنوا﴾ أيْ: وَلِيُمَيِّزَ اللهُ المؤْمِنَ المخْلِصَ الثّابِتَ، مِمَّنْ يرتدُّ عَنْ دينِهِ إذا أصابَتْهُ مُصيبَةٌ، عِياذًا بِاللهِ. ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ﴾ أيْ: وَلِيُكَرِّمَ قَوْمًا بِالشَّهادَةِ. ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الظالِمينَ﴾ الَّذينَ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَنِفاقِهِمْ،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَتَخاذُلِهِمْ عَنْ نُصْرَةِ المؤْمِنينَ.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران: ١٤١].

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعالى حِكْمَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ مِمّا جرى لِلْمُسْلِمينَ في غَزْوَةِ أُحُدٍ، فَقالَ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذينَ آمَنوا﴾ أيْ: لِيُخَلِّصَهُمْ وَيُطَهِّرَهُمْ مِنْ ذُنوبِهِمْ، بِما يَقَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَتْلٍ وَجَرْحٍ، وَيُخَلِّصَهُمْ أيْضًا مِنَ المنافِقينَ المنْدَسّينَ بَيْنَهُمْ. ﴿وَيَمْحَقَ الكافِرينَ﴾ أيْ: يَسْتَأْصِلَهُمْ بِسَبَبِ بَغْيِهِمْ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢].

قَوْلُهُ تَعالى: ﴿أمْ حَسِبْتُمْ﴾ أيْ: أظَنَنْتُمْ - يا أصْحابَ مُحَمَّدٍ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم -، وَالاسْتِفهامُ في الآيَةِ إنْكارِيٌّ. ﴿أنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ﴾ دُونَ ابْتِلاءٍ ﴿وَلَمّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذينَ جاهَدوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّابِرينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ [آل عمران: ١٤٣].

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ﴾ كانَ بَعْضُ الصَّحابَةِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُم - لَمْ يَحْضَرْ غَزْوَةَ بَدْرٍ، فَكانوا يَتَمَنَّوْنَ القِتالَ وَالشَّهادَةَ في سَبيلِ اللهِ، وَيَتَمَنَّوْنَ يَوْمًا كَيَوْمِ بَدْرٍ؛ لِيَسْتَدْرِكوا ما فاتَهُمْ مِنَ الجِهادِ، فَكانَ يَوْمُ أُحُدٍ فَانْهَزَموا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأرْضاهُمْ - مَعَ أنَّهُمْ هُمُ الَّذينَ ألَحّوا عَلى رَسولِ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالخُروجِ، وَلَمْ يَصْبِرْ مِنْهُمْ إلّا عَدَدٌ قَليلٌ، وَوَلّى مَنْ وَلّى مِنْهُمْ؛ فَعاتَبَهُمُ اللهُ عَلى ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ قَبْلِ أنْ تَلْقَوْهُ﴾ أيْ: مِنْ قَبْلِ يَوْمِ أحُدٍ. ﴿فَقَدْ رَأيْتُمُوهُ﴾ رَأيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْنَ مِنَ المَوْتِ أوِ القِتالِ. ﴿وأنْتُمْ تَنْظُرونَ﴾ قيلَ: بِمَعْنى التَّأكيدِ، وَقيلَ: إنَّها لِلتَّأسيسِ؛ لأنَّهُ الأصْلُ، وَأنَّ المعْنى: بُصَراءُ تَتَأمَّلونَ وَتُشاهِدونَ ذَلِكَ عَنْ قُرْبٍ، وفي الآيَةِ حَذْفٌ، أيْ: فَقَدْ رَأيْتُموهُ وَأنْتُمْ تَنْظُرونَ فَلِمَ انْهَزَمْتُمْ؟ وَقَدْ وَرَدَ النَّهيُ عَنْ تَمَنّي المَوْتِ، كَما ثَبَتَ في صَحيحِ مُسْلِمٍ مَرْفوعًا: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ، وَلا يَدْعو بِهِ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَهُ، فَإنَّهُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا ماتَ أحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإنَّهُ لا يَزِيدُ المؤْمِنَ عُمْرُهُ إلّا خَيْرًا»[١] فَلا بُدَّ مِنْ حَمْلِهِ هُنا، عَلى أنَّهُمْ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأرْضاهُمْ - تَمَنَّوا الشَّهادَةَ في سَبيلِ اللهِ، وَالآيَةُ فيها عِتابٌ عَلى تَمَنّيهِمُ الشَّهادَةَ، وَهُمْ لَمْ يَثْبُتوا حَتّى يَنالوها، وَلِهَذا لا يَشْرَعُ لِلْمُسْلِمِ أنْ يَتَمَنّى أمْرًا حَتّى يَعْرِفَ مَآلَهُ وَعاقِبَتَهُ؛ لأنَّهُ قَدْ يَتَمَنّاهُ، ثُمَّ إذا تَحَقَّقَ لَهُ لا يِصْبِرُ، أوْ قَدْ يَعْجَزُ عَنْهُ. وَقَدْ ثَبَتَ في الصَّحيحَيْنِ، مِنْ حَديثِ عَبْدِاللهِ بْنِ أبي أوْفى - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَتَمَنَّوْا لِقاءَ العَدُوِّ وَاسْألوا اللهَ العافِيَةَ، فَإذا لَقَيْتُموهُمْ فَاصْبِروا، فَإنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيوفِ»[٢].

❁ ❁ ❁

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

﴿وَمَا مُحَمَّد إلا رَسول قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أيْ: يَموتُ كَما ماتَتِ الرُّسُلُ قَبْلَهُ؛ فَهُوَ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - كَغَيْرِهِ. ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أعْقابِكُمْ﴾ ارْتَدَدْتُمْ كُفّارًا بَعْدَ إيمانِكُمْ، وَذَلِكَ لَمّا نُعِيَ رَسولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ أُحُدٍ، وَأُشيعَ أنَّه قَدْ قُتِلَ؛ فَتَزَعْزَعَ بَعْضُ النّاسِ، فَأنْزَلَ اللهُ تَعالى هَذِهِ الآيَةَ. ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ أيْ: فإنَّما يَضُرُّ نَفْسَهُ بِتَعْريضِها لِلْسُّخْطِ وَالعَذابِ، فَاللهُ تَعالى في هَذِهِ الآيَةِ العَظيمَةِ، وَبَّخَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ إيمانِهِ، وَارْتَدَّ عَلى عَقِبِهِ إنْ ماتَ، رَسولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أوْ قُتِلَ، وَالواجِبُ لَهُ عَلَيْهِ أنْ يَثْبُتَ عَلى دينِهِ؛ لأنَّهُ إنَّما يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَموتُ.

﴿وَسَيَجْزي اللهُ الشّاكِرينَ﴾ الَّذينَ ثَبَتوا عَلى دينِهِمْ وَجاهَدوا في سَبيلِ اللهِ، حَتّى ماتوا أوْ قُتِلوا، وَلَمْ يَرْتَدّوا عَلى أعْقابِهِمْ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ ثَبَتَ في الصَّحيحِ أنَّ أبا بَكْرٍ الصِّدّيقَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - تَلا هَذِهِ الآيَةَ يَوْمَ مَوْتِ

(١) أخْرَجَهُ مسلم (٢٦٨٢).

(٢) أخْرَجَهُ البخاري (٣٠٢٤)، ومسلم (١٧٤٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَبْكى الصَّحابَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلّا قَرَأَ الآيَةَ، كَأَنَّهُمْ ما سَمِعوها قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ! وَقالَ قَوْلَتَهُ العَظيمَةَ: "أَيُّها النّاسُ، مَنْ كانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ ماتَ، وَمَنْ كانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَموتُ"(١) ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضاهُ.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤٥].

هَذِهِ الآيَةُ تَحُثُّ عَلى الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ، وَالإِخْبارِ بِأَنَّ المَوْتَ حاصِلٌ، وَلا بُدَّ مِنْهُ. ﴿وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَموتَ إِلّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ أَيْ: إِلّا بِقَضاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ. ﴿كِتابًا﴾(٢)، ﴿مُؤَجَّلًا﴾ أَيْ: مُؤَقَّتًا، لا يَتَقَدَّمُ عَلى أَجَلِهِ، وَلا يَتَأَخَّرُ؛ فَالإِقْدامُ عَلى القِتالِ، وَالتَّأَخُّرُ عَنْهُ لا يَزيدُ وَلا يُنْقِصُ في العُمْرِ. ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بِعَمَلِهِ وَطاعَتِهِ ثَوابَ الدُّنْيا. ﴿نُؤْتِهِ مِنْها﴾ نُعْطِهِ مِنْها ما قَدَّرْناه لَهُ، كَما في آيَةِ الإِسْراءِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ - وَالعِياذُ بِاللهِ - كَما في آيَةِ الشّورى. ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَسَنَجْزي الشّاكِرينَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَسَنَجْزي الشّاكِرينَ﴾ فيهِ إِشارَةٌ إِلى أَنَّهُ يُنَعِّمُهُمْ بِنَعيمِ الدُّنْيا، لا أَنَّهُمْ يُقْصَرونَ عَلى نَعيمِ الآخِرَةِ. وَهَذِهِ الآيَةُ وَإِنْ كانَتْ في الجِهادِ إِلّا أَنَّها عامَّةٌ في جَميعِ الأَعْمالِ؛ فَثَوابُ أَيِّ عَمَلٍ مَوْقوفٌ عَلى نِيَّةِ العامِلِ، وَحُسْنِ مَقْصِدِهِ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ اسْمُ كِنايَةٍ عَنْ كَثيرٍ، مُبْتَدَأ. ﴿مِنْ نَبِيٍّ﴾ اسْمٌ مَجْرورٌ لَفْظًا، مَنْصوبٌ

---

(١) أَخْرَجَهُ البخاري (٣٦٦٨).

(٢) مَفْعولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلٍ مَحْذوفٍ تَقْديرُهُ: كَتَبَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَحَلًّا عَلى أنَّهُ تَمْيِيزُ ﴿كَأيِّنْ﴾، وَجُمْلَةُ ﴿قاتَلَ﴾ وَفيهِ قِراءَةٌ أخْرى. ﴿قُتِلَ﴾ خَبَرُ ﴿كَأيِّنْ﴾ وَالمعْنى: كَمْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ. ﴿مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ أيْ: جَماعاتٌ كَثيرَةٌ. ﴿فَما وَهَنُوا﴾ فَما عَجَزوا أوْ جَبنوا. ﴿لِما أصابَهُمْ في سَبيلِ اللهِ﴾ مِنْ قَتْلٍ وَجِراحٍ في سَبيلِ اللهِ. ﴿وما ضَعُفُوا﴾ عَنْ جِهادِ الأعْداءِ. ﴿وَما اسْتَكانُوا﴾ وَما خَضَعُوا لِعَدُوِّهِمْ، وَهَذا تَعْرِيضٌ بِما أصابَهُمْ مِنَ الوَهَنِ عِنْدَ الإرْجافِ بِقَتْلِ رَسولِ اللهِ، وَاسْتِكانَتِهِمْ لَهُم، حَيْثُ أرادُوا أنْ يَعْتَضِدُوا بِابْنِ أُبَيٍّ في طَلَبِ الأمانِ مِن أبِي سُفْيانَ. ﴿واللهُ يُحِبُّ الصابِرِينَ﴾ في الجِهادِ عَلى الشَّدائِدِ، وَتَحَمُّلِ المكارِهِ.

۞ ۞ ۞

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿وَما كانَ قَوْلَهُمْ﴾ بِالنَّصْبِ خَبَرٌ لِكانَ، وَاسْمُها "أنْ وَما بَعْدَها" أيْ: ما كانَ قَوْلَ هَؤلاءِ الرِّبّانِيّينَ الصّابِرِينَ حِينَ لَقُوا عَدُوَّهُمْ. ﴿إلّا أنْ قالُوا رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا﴾ وَهَذا يَشْمَلُ جَمِيعَ الذُّنوبِ الصَّغائِرِ وَالكَبائِرِ، ثُمَّ إنَّهُمْ خَصّوا الذُّنوبَ الكَبِيرَةَ فَقالُوا: ﴿وَإسْرافَنا في أمْرِنا﴾ وَالإسْرافُ: مُجاوَزَةُ الحَدِّ. ﴿وَثَبِّتْ أقْدامَنا﴾ في مَواطِنِ القِتالِ. ﴿وانْصُرْنا عَلى القَوْمِ الكافِرِينَ﴾ بِالغَلَبَةِ وَالنَّصْرِ عَلَيْهِمْ، **وَفي الآيَةِ** أنَّ الذُّنوبَ وَالمعاصِي وَالإسْرافَ فِيها مِنْ أعْظَمِ أسْبابِ الخُذْلانِ، وَأنَّ تَرْكَها وَالبُعْدَ مِنْها مِنْ أعْظَمِ أسْبابِ النَّصْرِ عَلى الأعْداءِ.

۞ ۞ ۞

﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٨].

﴿فَآتاهُمُ اللهُ﴾ أيْ: أعْطاهُمُ اللهُ بِسَبَبِ الاسْتِغْفارِ وَاللُّجوءِ إلَيْهِ. ﴿ثَوابَ الدُّنْيا﴾ النَّصْرَ عَلى عَدُوِّهِمْ وَالغَنِيمَةَ، وَحُسْنَ الذِّكْرِ وَالرِّفْعَةَ. ﴿وحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ﴾ الأجْرَ وَالمغْفِرَةَ وَالجَنَّةَ، قالَ البقاعِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - في (نَظْمُ الدُّرَرِ): "وَلَمّا كانَ ثَوابُ الدُّنْيا؛ كَيْفَما كانَ؛ لا بُدَّ أنْ يَكُونَ بِالكَدَرِ مَشُوبًا؛ وَبِالبَلاءِ مَصْحُوبًا؛ لِأنَّها دارُ الأكْدارِ؛

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعْراهُ مِن وَصْفِ الحُسْنِ؛ وَخَصَّ الآخِرَةَ بِهِ؛ فقالَ: ﴿وحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ﴾"[1].

انْتَهى.

۞ ۞ ۞

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩].

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا إنْ تُطيعوا الَّذينَ كَفَروا﴾ وَهَذا عامٌّ في جَميعِ الكُفّارِ. ﴿يَرُدّوكُمْ عَلى أعْقابِكُمْ﴾ أيْ: إلى الكُفْرِ. ﴿فَتَنْقَلِبوا﴾ أيْ: تَرْجِعوا. ﴿خاسِرينَ﴾ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

۞ ۞ ۞

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران: ١٥٠].

﴿بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ﴾ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ، أيْ: اللهُ ناصِرُكُمْ. ﴿وَهُوَ خَيْرُ النّاصِرينَ﴾ وَفي الآيَةِ دَليلٌ عَلى أنَّ مَنْ قاتَلَ لِإعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ، فَإنَّ اللهَ يَنْصُرُهُ وَلا يَخْذُلُهُ؛ لِأنَّ اللهَ مَوْلاهُ، وَهُوَ نِعْمَ المَوْلى، وَنِعْمَ النَّصيرُ، سُبْحانَهُ وَبِحَمْدِهِ.

۞ ۞ ۞

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران: ١٥١].

﴿سَنُلْقي في قُلوبِ الَّذينَ كَفَروا الرُّعْبَ﴾ الخَوْفَ الشَّديدَ. ﴿بِما أشْرَكوا﴾ أيْ: بِإشْراكِهِمْ بِاللهِ. ﴿ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطانًا﴾ حُجَّةً وَبُرْهانًا. ﴿ومَأواهُمُ النّارُ وَبِئْسَ مَثْوى الظّالِمينَ﴾ وَالآيَةُ تَتَناوَلُ جَميعَ الكُفّارِ؛ لِحَديثِ جابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - المُخْرَجِ في الصَّحيحَيْنِ وَغَيْرِهِما، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٨٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ... الخ »[1].

۞ ۞ ۞

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران: ١٥٢].

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ بِالنَّصْرِ وَالظَّفرِ. ﴿إِذْ تُحِسُّونَهُمْ﴾ تَقْتُلونَ المشْرِكينَ قَتْلًا ذَرِيعًا يَوْمَ أُحُدٍ في أوَّلِ الأمْرِ. ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بِعِلْمِ اللهِ وَإرادَتِهِ. ﴿حَتّى إذا فَشِلْتُمْ﴾ جَبُنْتُمْ عَنْ عَدُوِّكُمْ. ﴿وتَنازَعْتُمْ﴾ أيْ: اخْتَلَفْتُمْ. ﴿في الأمْرِ﴾ وَهَذا الاخْتِلافُ كانَ بَيْنَ الرُّماةِ الَّذينَ انْقَسَموا إلى فَريقَيْنِ، كَما سَيَأْتي. ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ الرَّسولَ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِتَرْكِ المكانِ الَّذي أمَرَكُمْ بِالبَقاءِ فيهِ. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تحبُّون﴾ مِنَ الظَّفرِ وَالنَّصْرِ عَلى أعْدائكُمْ. ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا﴾ وَهُمُ الرُّماةُ الَّذينَ تَرَكوا المكانَ، وَأقْبَلوا إلى جَمْعِ الغَنائمِ. ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ وَهُمُ الرُّماةُ الَّذينَ مَعَ عَبْدِاللهِ بْنِ جُبَيْرٍ، ثَبَتوا امْتِثالًا لأمْرِ النَّبِيِّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتّى قُتِلوا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأرْضاهُمْ. وَفي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ إشارَةٌ إلى أنَّ الإخْلاصَ التّامَّ للهِ عَزيزٌ. ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ رَدَّكُمْ بِالهَزيمَةِ. ﴿عَنْهُمْ﴾ أيْ: عَنِ الكُفَّارِ. ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ لِيَخْتَبِرَكُمْ بِما نَزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ القَتْلِ وَالجِراحِ. ﴿وَلَقَدْ عفا عَنْكُمْ﴾ ذَنْبَكُمْ بِعِصْيانِ النَّبِيِّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالهَزيمَةِ. ﴿وَاللهُ ذو فَضْلٍ عَلى المؤْمِنينَ﴾ بِالمغْفِرَةِ. وَقَدْ أخْرَجَ البُخارِيُّ عَنِ البَراءِ بْنِ عازِبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: "لَقِينا المُشْرِكينَ يومَئذٍ، وَأجْلَسَ النَّبِيُّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَيْشًا مِنَ الرُّماةِ، وَأمَّرَ عَلَيْهِم عَبْدَ اللَّهِ، وَقالَ:«لا تَبْرَحُوا، إنْ رَأَيْتُمونا ظَهَرْنا عَلَيْهِم فلا تَبْرَحُوا، وَإنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنا فلا تُعِينُونا»، فَلَمّا لَقِينا هَرَبُوا حتّى رَأَيْتُ النِّساءَ يَشْتَدِدْنَ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في الجَبَلِ، رَفَعْنَ عَن سُوقِهِنَّ، قدْ بَدَتْ خَلاخِلُهُنَّ، فأخَذُوا يقولونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ، فقالَ عبدُ اللَّهِ: عَهِدَ إلَيَّ النَّبِيُّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنْ لا تَبْرَحُوا، فأبَوْا، فَلَمّا أبَوْا صُرِفَ وَجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا، وَأَشْرَفَ أبو سُفْيانَ فقالَ: أفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فقالَ: «لا تُجِيبُوهُ». فقالَ: أفِي القَوْمِ ابنُ أبِي قُحافَةَ؟ قالَ: «لا تُجِيبُوهُ». فقالَ: أفِي القَوْمِ ابنُ الخَطّابِ؟ فقالَ: إنَّ هَؤلاءِ قُتِلُوا، فلوْ كانُوا أحْياءً لَأَجابُوا، فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ، فقالَ: كَذَبْتَ يا عَدُوَّ اللَّهِ، أبْقى اللَّهُ عَلَيْكَ ما يُخْزِيكَ، قالَ أبو سُفْيانَ: اعْلُ هُبَلُ، فقالَ النَّبِيّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أجِيبُوهُ»، قالُوا: ما نَقُولُ؟ قالَ: قُولوا: «اللَّهُ أعْلى وَأَجَلُّ»، قالَ أبو سُفْيانَ: لَنا العُزّى وَلا عُزّى لَكُمْ، فقالَ النَّبِيُّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أجِيبُوهُ»، قالُوا: ما نَقُولُ؟ قالَ: «قُولوا اللَّهُ مَوْلانا، وَلا مَوْلى لَكُمْ»، قالَ أبو سُفْيانَ: يَوْمٌ بيَوم بَدْرٍ، وَالحَرْبُ سِجالٌ، وَتَجِدُونَ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بها وَلَمْ تَسُؤْنِي[1].

۞ ۞ ۞

﴿*إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران: ١٥٣].

﴿إذْ تُصْعِدونَ﴾[2]؛ أيْ: تَسيرونَ في أرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ هارِبينَ مِنَ القَتْلِ. ﴿ولا تَلْوونَ عَلى أحَدٍ﴾ أيْ: لا يَلْتَفِتُ بَعْضُكُمْ إلى بَعْضٍ، وَلا يَنْظُرُ إلَيْهِ، بَلْ لَيْسَ لَهُ هَمٌّ إلّا الفِرارُ وَالهُروبُ مِنَ القِتالِ. ﴿والرَّسولُ يَدْعوكُمْ في أُخْراكُمْ﴾ أيْ: يُناديكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ، يَقولُ: «إلَيَّ عَبادَ اللهِ! إلَيَّ عِبادَ اللهِ!» وَأنْتُمْ لا تَلْتَفِتونَ إلَيْهِ. ﴿فَأثابَكُمْ﴾ أيْ: جازاكُمْ عَلى مَعْصِيَتِكُمْ وَفِرارِكُمْ. ﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾ في هَذا قَوْلانِ؛ أحَدُهُما: أنَّ الغَمَّ الأوَّلَ القَتْلُ وَالجِراحُ، وَالغَمُّ الثّانِي أنَّه أُشيعَ بِأنَّ النَّبِيَّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُتِلَ،

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٣).

(٢) ﴿إذْ﴾ مُتَعَلِّقٌ (إذْ) مَحْذوفٌ تَقْديرُهُ: اذْكُروا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فأنْساهُمُ الغمُّ الآخرُ الغَمَّ الأوّلَ، والقَوْلُ الآخرُ: أنّهم غَمّوا النَّبِيَّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في مُخالَفَتِهِمْ إيَّاهُ؛ لأنَّهُ أمَرَهُمْ أنْ يَثْبُتُوا فَخالَفوا أمْرَهُ، فَأثابَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ الغَمِّ غَمَّهُمْ بِالنَّبِيِّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ﴿لِكَيْلا تَحْزَنوا﴾ أيْ: عَفا عَنْكُمْ؛ لِكَيْلا تَحْزَنوا ﴿عَلى ما فاتَكُمْ﴾ مِنَ النَّصْرِ وَالغَنيمَةِ. ﴿ولا ما أصابَكُمْ﴾ مِنَ القَتْلِ وَالجِراحِ وَالهَزيمَةِ، بَعْدَ عِلْمِكُمْ بِأنَّ النَّبِيَّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يُقْتَلْ. ﴿وَاللهُ خَبيرٌ بِما تَعْمَلونَ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ﴾ أيْ: الألَمِ وَالضّيقِ. ﴿أَمَنَةً نُعاسًا﴾ النُّعاسُ: أخَفُّ النَّوْمِ. ﴿يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ﴾ المعْنى: أنْزَلَ اللهُ تَعالى عَلى أهْلِ اليَقينِ وَالإخْلاصِ يَوْمَ أُحُدٍ أمْنًا كامِلًا؛ فَذَهَبَ الخَوْفُ مِنْهُمْ، حَتّى إنَّ أحَدَهُمْ لَيَنامُ وَالسَّيْفُ في يَدِهِ فَيَسْقُطُ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ يَتَناوَلُهُ، كَما ثَبَتَ في صَحيحِ البُخارِيِّ، عَنْ أنَسِ بْنِ مالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنَّ أبا طَلْحَةَ، قالَ: "غَشِينا النُّعاسُ وَنَحْنُ في مَصافِّنا يَومَ أُحُدٍ، قالَ: فَجَعَلَ سَيْفي يَسْقُطُ مِن يَدِي، وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ"(١). ﴿وطائِفَةٌ قَدْ أهَمَّتْهُمْ أنْفُسُهُمْ﴾ وَهُمُ المنافِقونَ، كانَ هَمُّهُمْ خَلاصُ أنْفُسِهِمْ؛ فَلَمْ يَغْشَهُمُ النُّعاسُ مِنَ القَلَقِ وَالهَمِّ، كَما وَرَدَ في جامِعِ أبي عيسى التِّرْمِذِيِّ، وَقالَ: حَديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ عَنْ أنَسِ بْنِ مالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنَّ أبا طلحةَ، قالَ: "غَشِينا وَنَحْنُ في مَصافِّنا يَوْمَ أُحُدٍ، حَدَّثَ أنَّهُ كانَ فيمَنْ غَشِيَهُ النُّعاسُ يَومَئِذٍ قالَ:

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَجَعَلَ سَيْفي يَسْقُطُ مِنْ يَدي، وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ مِنْ يَدي وَآخُذُهُ، وَالطائفَةُ الأخْرى المنافِقونَ، لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ إلا أنْفُسَهُمْ، أجْبَنُ قَوْمٍ وَأرْغَبُهُ وَأخْذَلُهُ لِلْحَقِّ". ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أيْ: يَظُنّونَ أنَّ أمْرَ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - مُضْمَحِلٌّ، وَأنَّ اللهَ تَعالى لا يَنْصُرُ رَسولَهُ، كما قالَ تَعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسولُ وَالمؤمِنونَ إلى أَهْليهِمْ أبَدًا...﴾ ﴿ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ﴾ أيْ: كَظَنِّ أَهْلِ الجاهِلِيَّةِ، وَهُمُ الكُفَّارُ. ﴿يَقُولُونَ: هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أيْ: هَلْ لَنا مِنْ أمْرِ تَدْبيرِ القِتالِ وَالرأْيِ شَيْءٌ، يَقولونَ ذَلِكَ عَلى سَبيلِ الإنْكارِ؛ فَقالَ اللهُ تَعالى: ﴿إنَّ الأمْرَ كُلَّه للهِ﴾ أيْ: التَّدْبيرَ كُلَّهُ للهِ؛ فَهُوَ الَّذي قَدَّرَ خُروجَكُمْ، وَما حَدَثَ لَكُمْ مِنَ القَتْلِ وَالجِراحِ وَالخَوْفِ وَالهَزيمَةِ. ﴿يُخْفونَ في أنْفُسِهِمْ﴾ مِنَ الشَّكِّ وَالنِّفاقِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِاللهِ. ﴿مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ﴾ أيْ: لَوْ كانَ الاخْتِيارُ لَنا. ﴿ما قُتِلْنا هاهُنا﴾ يَعْنونَ: أنَّهُمْ أُخْرِجُوا كُرْهًا، وَلَوْ كانَ الأمْرُ بِيَدِهِمْ ما خَرَجوا، وَهذا تَكْذيبٌ مِنْهُمْ بِالقَدَرِ؛ فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ في بُيُوتِكُمْ﴾ الَّتي هِيَ أبْعَدُ مَكانٍ عَنْ مَظانِّ القِتالِ. ﴿لَبَرَزَ الَّذينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إلى مَضاجِعِهِمْ﴾ أيْ: لَخَرَجَ الَّذينَ قُدِّرَ القَتْلُ عَلَيْهِمْ إلى مَصارِعِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ لِيُنْجيهِمْ قُعودُهُمْ بِالمدينَةِ، فَالأسْبابُ - وَإنْ عَظُمَتْ - لا تَنْفَعُ إذا عارَضَها القَضاءُ وَالقَدَرُ، إنَّما تَنْفَعُ إذا لَمْ يُعارِضْها القَدَرُ وَالقَضاءُ، كَما قالَ القائلُ:

"وَلا يَنْفَعُ التَّحْذيرُ مِنْ أمْرِ ❧ لَهُ التَّدْبيرُ جَلَّ وَاقْتَدَرَ

﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ ما في صُدورِكُمْ﴾ وَهُوَ عِلَّةٌ لِفِعْلٍ مَحْذوفٍ، أيْ: وَفَعَلَ ذَلِكَ لِحِكَمٍ عَظيمَةٍ مِنْها: لِيَمْتَحِنَ ما في صُدورِكُمْ، وَيُظْهِرَ سَرائِرَها مِنَ الإخْلاصِ وَالنِّفاقِ. ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ أيْ: وَلِيُخَلِّصَ وَيُنَقِّيَ وَيُهَذِّبَ. ﴿ما في قُلوبِكُمْ﴾ أيُّها المؤْمِنونَ مِنَ الرِّضا بِقَضاءِ اللهِ؛ لأنَّ القُلوبَ لَوْ تُرِكَتْ في عافِيَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ؛ ما تَبَيَّنَ المؤْمِنُ مِنَ المنافِقِ، فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ - تَعالى - أنْ يَقْضِيَ لها مِنَ المِحَنِ وَالبَلاءِ، ما يَتَبَيَّنُ فيها المؤمِنُ الصّادِقُ مِنَ المنافِقِ الكاذِبِ، ثُمَّ خَتَمَ اللهُ تعالى هَذِهِ الآيَةَ العَظيمَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللهُ﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الَّذي وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ ﴿عَليمٌ بِذاتِ الصُّدورِ﴾ بِما في الصُّدورِ.

۞ ۞ ۞

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥٥].

﴿إِنَّ الَّذينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ أيُّها المؤمنونَ ﴿يَوْمَ الْتَقى الجَمْعانِ﴾ في غَزْوَةِ أحُدٍ. ﴿إِنَّما اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ﴾ أي: الَّذي دَعاهُمْ لِلوُقُوعِ في الزَّلَّةِ هُوَ الشَّيْطانُ. ﴿بِبَعْضِ ما كَسَبوا﴾ أيْ: بِبَعْضِ ذُنوبِهِمْ، وَمِنْها: مُخالَفَةُ أمْرِ النَّبِيِّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالمَيْلُ إلى جَمْعِ الغَنائِمِ. ﴿وَلَقَدْ عَفا اللهُ عَنْهُمْ﴾ عَمّا كانَ مِنْهُمْ مِنَ الفِرارِ. ﴿إِنَّ اللهَ غَفورٌ﴾ لِلذُّنوبِ. ﴿حَليمٌ﴾ لا يُعاجِلُ بِعُقوبَةِ المُذْنِبِ، **وَالآيَةُ فيها** التَّحْذيرُ مِنَ الذُّنوبِ وَالمعاصي وَالتَّهاوُنِ في ارْتِكابِها، فَقَدْ يُحْرَمُ الإنْسانُ الطّاعَةَ بِسَبَبِ ذَنْبٍ ارْتَكَبَهُ.

۞ ۞ ۞

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عمران: ١٥٦].

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تَكونوا كالَّذينَ كَفَروا﴾ أيْ: المنافِقينَ. ﴿وَقالوا لإِخْوانِهِمْ﴾ أيْ: في الكُفْرِ. ﴿إذا ضَرَبوا في الأرْضِ﴾ أيْ: سافَروا فَماتوا. ﴿أوْ كانوا غُزًّى﴾ جَمْعُ غازٍ، فَقُتِلوا. ﴿لَوْ كانُوا عِنْدَنا﴾ أيْ: وَلَمْ يضْرِبوا في الأرْضِ. ﴿مَا ماتُوا﴾ في سَفَرِهِمْ. ﴿ومَا قُتِلوا﴾ في غَزْوِهِمْ تَكذيبًا مِنْهُمْ بِالقَضاءِ وَالقَدَرِ. ﴿لِيَجْعَلَ﴾ (اللّامُ) لامُ الصَّيْرورَةِ؛ لِبَيانِ العاقِبَةِ. ﴿لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً في قُلُوبِهِمْ﴾ أيْ: لِيَجْعَلَ اللهُ تَعالى هَذا القَوْلَ، وَهَذا الاعْتِقادَ الفاسِدَ ﴿حَسْرَةً في قُلوبِهِمْ﴾ وَالحَسْرَةُ: النَّدامَةُ عَلى فَوْتِ المحْبوبِ. ﴿واللَّهُ يُحْيي وَيُمِيتُ﴾ وَهَذا رَدٌّ عَلى قَوْلِهِمْ وَاعْتِقادِهِمْ؛ فَلَيْسَ يَمْنَعُ الإنْسانَ تَحَرُّزُهُ مِنْ إتْيانِ أجَلِهِ. ﴿واللهُ بِما تَعْمَلونَ﴾ هُ ﴿بَصيرٌ﴾ فَيُجازيكُمْ بِهِ.

۞ ۞ ۞

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

[آل عمران: ١٥٧].

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ أيْ: المَوْتُ كائنٌ لا بُدَّ مِنْهُ، فَقَتْلٌ في سَبيلِ اللهِ، أوْ مَوْتٌ في سَبيلِهِ. ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ﴾ وَهُوَ ﴿خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعونَ﴾ مِنْ أعْراضِ الدُّنْيا.

❁ ❁ ❁

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آل عمران: ١٥٨].

﴿ولَئِنْ مُتُّمْ أوْ قُتِلْتُمْ﴾ أيْ: عَلى أيِّ وَجْهٍ كانَ هَلاكُكُمْ. ﴿لإلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ في الحالَيْنِ، فَيُجازيكُمْ عَلى أعْمالِكُمْ، وَإذا كانَ الحَشْرُ في كِلا الحالَيْنِ إلَيْهِ تَعالى، فالمُضِيُّ إلَيْهِ في حالِ الشَّهادَةِ أوْلى.

❁ ❁ ❁

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ﴾ أيْ: فَبِسَبَبِ رَحْمَةٍ عَظيمَةٍ، وَهَبَها اللهُ تَعالى لَكَ وَلِلْمُؤْمِنينَ، وَتَفَضَّلَ بِها عَلَيْكَ وَعَلى المُؤْمِنينَ. ﴿لِنْتَ لَهُمْ﴾ أيْ: كُنْتَ لَيِّنًا رَفيقًا سَهْلًا مَعَ أصْحابِكَ. ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ وَهُوَ سَيِّئُ الخُلُقِ. ﴿غَليظَ القَلْبِ﴾ قاسي القَلْبِ، وَقيلَ: مَعْناهُما وَاحِدٌ، وَجَمَعَ بَيْنَهُما لِلتَّأكيدِ. ﴿لانْفَضُّوا﴾ لَتَفَرَّقوا. ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما فَعَلوا يَوْمَ أُحُدٍ. ﴿واسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أيْ: ادْعُ لَهُمْ بِالمَغْفِرَةِ. ﴿وشاوِرْهُمْ في الأمْرِ﴾ أيْ: في الحُروبِ، كَما يَقْتَضيهِ السِّياقُ، وَأيْضًا شاوِرْهُمْ في أيِّ أمْرٍ يَرِدُ عَلَيْكَ مِمّا يُشاوَرُ في مِثْلِهِ، لا في الأحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ؛ لِما في اسْتِشارَتِهِمْ مِنْ تَطْيِيبٍ لِنُفوسِهِمْ، وَرَفْعًا لأقْدارِهِمْ، وَأيْضًا لِيَقْتَدِيَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ مِنَ الوُلاةِ وَالأُمَراءِ، وَإذا كانَ اللهُ، تَعالى، أمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنْ يُشاوِرَ أصْحابَهُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَغَيْرُهُ أوْلى بِالمَشورَةِ. وَقَدْ حَكى الإمامُ القُرْطُبِيُّ، عَنِ ابْنِ عَطِيَّةَ، أنَّهُ لا خِلافَ في وُجوبِ عَزْلِ مَنْ لا يَسْتَشيرُ أهْلَ العِلْمِ وَالدِّينِ. ﴿فَإذا عَزَمْتَ﴾ عَلى

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمْرٍ مِنَ الأُمورِ بَعْدَ الاسْتِشارَةِ. ﴿فَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ﴾ أيْ: امْضِ فيهِ، وَاعْتَمِدْ عَلى اللهِ تَعالى وَحْدَهُ، لا عَلى حَوْلِكَ وَقُدْرَتِكَ.﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المتَوَكِّلينَ﴾ وَهَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ تَعالَى:﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، **وَيُؤخَذُ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ العَظيمَةِ**، أنَّ الرَّحْمَةَ وَالعَفْوَ وَالصَّفْحَ، وَالتَّواضُعَ وَلينَ الجانِبِ، وَحُسْنَ الخُلُقِ مِنْ أهَمِّ صِفاتِ الدّاعِيَةِ إلى اللهِ تَعالى، فَعَلى الدّاعِيَةِ إلى اللهِ تَعالى أنْ يُجاهِدَ نَفْسَهُ، وَيُحاوِلَ قَدْرَ الإمْكانِ في أنْ يَتَّصِفَ بِهَذِهِ الصِّفاتِ العَظيمَةِ، وَيَتَخَلَّقَ بِها، وَيَسْألَ اللهَ تَعالى، وَيُلِحَّ عَلَيْهِ سُبْحانَهُ أنْ يَتَفَضَّلَ بِها عَلَيْهِ، وَإذا عَلِمَ اللهُ – تَعالى – مِنَ العَبْدِ صِدْقَ النِّيَّةِ أعانَهُ، وَيَسَّرَ أمْرَهُ.

۞ ۞ ۞

﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠].

﴿إنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ﴾ كما فَعَلَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَالنَّصْرُ: العَوْنُ. ﴿فَلا غالِبَ لَكُمْ﴾ مِنَ النّاسِ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْكُمْ أهْلُ الأرْضِ، وَلَنْ يَضُرَّكَ خُذْلانُ مَنْ خَذَلَكَ، وَإنَّما يُدرِكُ نَصْرَ اللهِ مَنْ تَبَرَّأَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَاعْتَصَمَ بِرَبِّهِ وَقُدْرَتِهِ؛ وَلِهذا كانَ مِنْ أدْعِيَةِ النَّبِيِّ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الثابِتَةِ: «يا حَيُّ يا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أسْتَغيثُ، أصلِحْ لي شَأْني كُلَّه، وَلا تَكِلْني إلى أحَدٍ مِن النّاسِ وَلا إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ». ﴿وَإنْ يَخْذُلْكُمْ﴾ كَما فَعَلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَالخُذْلانُ: تَرْكُ العَوْنِ. ﴿فَمَنْ ذا الَّذي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أيْ: لا أحَدَ يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ، وَمَنْ عَلِمَ أنَّهُ لا ناصِرَ لَهُ إلّا اللَّهُ سُبْحانَهُ، وَأنَّ مَنْ نَصَرَهُ اللَّهُ لا غالِبَ لَهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لا ناصِرَ لَهُ، فَوَّضَ أُمُورَهُ إلَيْهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَشْتَغِلْ بِغَيْرِهِ، ﴿وَعَلى اللهِ﴾ وَحْدَهُ. ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ المؤْمِنونَ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦١﴾ [آل عمران: ١٦١].

﴿وما كانَ﴾ أيْ: وَما يَنْبَغي. ﴿لِنَبِيٍّ أنْ يَغلَّ﴾ أيْ: يَخونَ بِكِتْمانِ شَيْءٍ مِنَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الغَنيمَةِ عَنْ أصْحابِهِ. وَهَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ كَما قالَ ابْنُ عَبّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - في قَطيفَةٍ حَمْراءَ فُقِدَتْ يَوْمَ بَدْرٍ، فقالَ النّاسُ: لَعلَّ النَّبِيَّ أخَذَها! فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالى هَذِهِ الآيَةَ، كَما في سُنَنِ أبي داوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ. وَالغُلولُ في الأصْلِ: هُوَ أخْذُ شَيْءٍ خُفْيَةً مِنْ مالِ الغَنيمَةِ قَبْلَ القِسْمَةِ، لَكِنْ يَنْدَرِجُ تَحْتَهُ كُلُّ شَيْءٍ يَتَعَدّى عَلَيْهِ الإنْسانُ دُونَ وَجْهِ حَقٍّ، فَعَلى المُسْلِمِ الَّذي يُرِيدُ النَّجاةَ لِنَفْسِهِ أنْ يَحْذَرَ أشَدَّ الحَذَرِ، وَلا يَأْخُذَ المالَ إلّا مِنْ وَجْهِهِ الشَّرْعِيِّ. ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ أيْ: يَأْتِ بِالشَّيْءِ الَّذي غَلَّهُ بِعَيْنِهِ، حامِلًا إيّاهُ عَلى ظَهْرِهِ، فَيَفْضَحَهُ اللهُ تَعالى بَيْنَ الخَلائِقِ، كَما صَحَّ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَقد وَرَدَتْ أحاديثُ كَثيرَةٌ في الصَحيحَيْنِ وَغَيْرِهِما في ذَمِّ الغُلولِ، وَوَعيدِ الغالّ.

﴿ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ أيْ: تُجازى ثَوابَ عَمَلِها. ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمونَ﴾ لا يُنْقَصونَ مِنْ ثَوابِ أعْمالِهِمْ شَيْئًا.

۞ ۞ ۞

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾

[آل عمران: ١٦٢].

﴿أفَمَنْ﴾ أيْ: لَيْسَ مَنْ. ﴿اتَّبَعَ رِضْوانَ اللهِ﴾ بِفِعْلِ أوامِرِهِ، وَاجْتِنابِ نَواهيهِ. ﴿كَمَنْ باءَ﴾ أيْ: رَجَعَ. ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ بِسَبَبِ مُخالَفَةِ أوامِرِهِ، وَارْتِكابِ نَواهيهِ. ﴿وَمأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المصيرُ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣].

﴿هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أيْ: كُلٌّ مِنْ أهْلِ الرِّضا، وَأهْلِ السُّخْطِ مُتفاوِتونَ في مَنازِلِهِمْ وَدَرَجاتِهِمْ في الجَنَّةِ، وَدَرَكاتِهِمْ في النّارِ، كما قالَ تَعالى:﴿وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمّا عَمِلوا﴾ وَلِهَذا قالَ:﴿واللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ﴾ أيْ: بِأعْمالِهِمْ، فَيُجازِيهِمْ عَلى حَسَبِها، وَالآيَةُ فيها حَثٌّ عَلى فِعْلِ الطّاعاتِ وَالقُرُباتِ، وَالتَّحْذيرِ مِنْ فِعْلِ المعاصي وَالسَّيئاتِ.

۞ ۞ ۞

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ أيْ: أنْعَمَ وَتَفَضَّلَ. ﴿عَلى المُؤْمِنِينَ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسولًا مِن أنْفُسِهِم﴾ أيْ مِنْ جِنْسِهِمْ عَرَبِيًّا مِثْلَهُمْ. ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ﴾ القُرْآنَ. ﴿ويُزَكِّيهِمْ﴾ يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ. ﴿ويُعَلِّمهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ﴾ القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعْثَتُهُ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أعْظَمِ المِنَنِ، وَأكْبَرِ النِّعَمِ، وَهِيَ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ تَعالى لِلْعالَمِينَ، كَما قالَ تَعالى: ﴿وَما أرْسَلْناكَ إلّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾ فَلِلَّهِ الحَمْدُ عَلى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا. ﴿وَإنْ كانُوا مِن قَبْلُ﴾ أيْ: مِنْ قَبْلِ بَعْثَةِ الرَّسولِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ﴿لَفِي ضَلالٍ﴾ عَمًى وَجهالَةً. ﴿مُبِينٍ﴾ بَيِّنٍ ظاهِرٍ.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥].

﴿أوَ لَمّا أصابَتْكُمْ مُصيبَةٌ﴾ يَعْني: ما أصابَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ مِنْ قَتْلِ سَبْعِينَ. ﴿قَدْ أصَبْتُمْ مِثْلَيْها﴾ يَوْمَ بَدْرٍ؛ وَذَلِكَ أنَّهُمْ قَتَلوا سَبْعِينَ، وَأسَروا سَبْعِينَ. ﴿قُلْتُمْ أنّى هَذا﴾ مِنْ أيْنَ أصابَنا هَذا القَتْلُ وَالهَزِيمَةُ، وَرَسولُ اللهِ فينا، وَاللهُ تَعالى وَعَدَنا بِالنَّصْرِ؟! ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أنْفُسِكُمْ﴾ أيْ: إنَّما هُوَ بِسَبَبِ ذُنوبِكُمْ وَمُخالَفَتِكُمْ أمْرَ النَّبِيِّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ﴿إنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **وَالآيَةُ فيها** أنَّ المصائبَ سَبَبُها الذُّنوبُ وَالمعاصي.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [آل عمران: ١٦٦].

﴿وَما﴾ بِمَعْنى: الَّذي، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ. ﴿أصابَكُمْ﴾ مِنَ القَتْلِ وَالجِراحِ. ﴿يَوْمَ الْتَقى الجَمْعانِ﴾ يَوْمَ أُحُدٍ. ﴿فَبِإذْنِ اللهِ﴾ بِقَضائِهِ وَقَدَرِهِ وَعِلْمِهِ، وَأيْضًا لِحِكَمٍ عَظِيمَةٍ، مِنْها: ﴿وَلِيَعْلَمَ المؤْمِنِينَ﴾ أيْ: حَتّى يَتَمَيَّزَ المؤْمِنُ وَيَظْهَرُ حَقًّا مِنَ المنافِقِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾

[آل عمران: ١٦٧].

خَرَجَ النَّبِيُّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى أُحُدٍ، وَمَعَهُ النّاسُ مُؤمِنُهُمْ وَمُنافِقُهُمْ، وَفي أثْناءِ الطَّرِيقِ انْصَرَفَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، بِنَحْوِ ثُلُثِ الجُنْدِ عَنِ المؤْمِنينَ وَرَجَعَ بِهِمْ، فَقيلَ لَهُمْ: ﴿تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ عنَّا القَوْمَ بِتَكْثيرِكُمْ سَوادَنا إنْ لَمْ تُقاتِلوا، وَقيلَ: مَعْنى الدَّفْعِ هُنا: الدِّفاعُ عَنِ النَّفْسِ وَالمحارِمِ. ﴿قالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالا لاتَّبَعْناكُمْ﴾ أيْ: لَوْ نَعْلَمُ أنَّكُمْ تُقاتِلونَ لَسِرْنا مَعَكُمْ، وَلَكِنْ لا نَرى أنْ يَكونَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ القَوْمِ قِتالٌ، قالَ اللهُ تَعالى: ﴿هُمْ﴾ بِهَذا القَوْلِ. ﴿لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ﴾ بِما أظْهَروا مِنْ خُذْلانِ المؤْمِنينَ. ﴿أقربُ مِنْهُمْ لِلْإيمانِ﴾ لِأنَّهُمْ كانوا قَبْلَ ذَلِكَ أقْرَبَ إلى الإيمانِ بِظاهِرِ حالِهِمْ، فَلَمَّا خَذَلوا المؤْمِنينَ صاروا أقْرَبَ إلى الكُفْرِ مِنْ حَيْثُ الظَّاهِرِ، قالَ ابْنُ كَثِيرٍ: "اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلى أنَّ الشَّخْصَ قَدْ تَتَقَلَّبُ بِهِ الأحْوالُ؛ فَيَكُونُ في حالٍ أقْرَبَ إلى الكُفْرِ، وَفي حالٍ أقْرَبَ إلى الإيمانِ"(١). ﴿يَقُولُونَ بأفْواهِهِمْ﴾ أيْ: بِألْسِنَتِهِمْ. ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أعْلَمُ بِمَا يَكْتُمونَ﴾ مِنَ النِّفاقِ. قالَ ابْنُ سَعْدِيّ، رَحِمَهُ اللهُ: "وَيُسْتَدَلُّ بِهَذِهِ الآيَةِ عَلى قاعِدَةِ: ارْتِكابِ أخَفِّ المفْسَدَتَيْنِ لِدَفْعِ أعْلاهما، وَفِعْلِ أدْنى المصْلَحَتَيْنِ، لِلْعَجْزِ عَنْ أعْلاهُما؛ لِأنَّ المنافِقينَ أُمِروا أنْ يُقاتِلوا لِلدّينِ، فَإنْ لَمْ يَفْعَلوا فَلِلْمُدافَعَةِ عَنِ العِيالِ وَالأوْطانِ"(٢).

۞ ۞ ۞

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران: ١٦٨].

﴿الَّذينَ قالَوا﴾ يَعْني: المنافِقينَ. ﴿لِإخْوانِهِمْ﴾ لِأمْثالِهِمْ مِنْ أهْلِ النِّفاقِ.

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ١٦٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٥٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وقَعَدوا﴾ عَنِ الجِهادِ. ﴿لَوْ أطاعونا﴾ بِتَرْكِ الخُروجِ مِنَ المدينَةِ. ﴿ما قُتِلوا﴾ فَرَدَّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ، وَقالَ: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يا مُحَمَّدُ: ﴿فَادْرَؤُوا﴾ فَادْفَعوا. ﴿عَنْ أنْفُسِكُمُ الموْتَ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ قالَ القُرْطُبِيُّ: "بَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ الْحَذَرَ لَا يَنْفَعُ مِنَ الْقَدَرِ، وَأَنَّ الْمَقْتُولَ يُقْتَلُ بِأَجَلِهِ، وَمَا عَلِمَ اللَّهُ وَأَخْبَرَ بِهِ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ"(١).

۞ ۞ ۞

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، بِإِسْنادٍ صَحيح عَن ابْنِ عبّاس، قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قالَوا مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكَلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ فقالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ»، قالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلُوا فِي سَبيلِ اللَّهِ أَمْواتًا...﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ(٢).

وَالآياتُ نَزَلَتْ فِي شُهَداءِ أُحُدٍ، وَهِيَ عامَّةٌ فِي جَمِيعِ الشُّهَداءِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ المقَرَّرِ أَنَّ العِبْرَةَ بِعُمومِ اللَّفْظِ، لا بِخُصوصِ السَّبَبِ.

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ﴾ أيْ: لا تَظُنَّنَّ. ﴿الَّذينَ قُتِلُوا فِي سَبيلِ اللَّهِ أمواتًا بَلْ أحْياءٌ﴾(٣)، وَالمرادُ بِذَلِكَ: حَياةُ أَرْواحِهِمْ حَياةً بَرْزَخِيَّةً، أمّا أبْدانُهُمْ فَقَدْ ماتوا بِلا شَكٍّ. ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (عِنْدَ) تُفيدُ قُرْبَهُمْ مِنَ اللهِ تَعالى، وَعُلُوَّ مَنْزِلَتِهِمْ، وَهُوَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ أَرْواحَهُمْ فِي أَجْوافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الجَنَّةِ حَيْثُ شاءَتْ، نَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ مِنْ فَضْلِهِ. ﴿يُرْزَقونَ﴾ مِنَ الجَنَّةِ بِأَنْواعِ النَّعيمِ.

۞ ۞ ۞

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٢٠).

(٣) ﴿أحْياءٌ﴾ خَبَرٌ لِمُبْتَدَإٍ مَحْذوفٍ تَقْديرُهُ: بَلْ هُمْ أحياءٌ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾

[آل عمران: ١٧٠ – ١٧١].

﴿فَرِحِينَ﴾ مَسْرورِينَ. ﴿بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مِنْ نَعيمِهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ عَلَيْهِم. ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أيْ: وَيُسَرّونَ وَيَفْرَحونَ بِإخْوانِهِمُ الَّذينَ فارَقوهُمْ وَلَمْ يُقْتَلوا، يَرْجونَ لَهُمُ الشَّهادَةَ؛ لِيَنالوا مِثْلَ ما نالوا. ﴿أَلّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بَدَلٌ مِنْ: ﴿الَّذينَ لَمْ يَلْحَقوا بِهِمْ..﴾ فَيَكونُ مَعْنى: ﴿أَلّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنونَ﴾ أيْ: عَلى إخْوانِهِمُ المؤْمِنينَ الَّذينَ تَرَكوهُمْ أحْياءً إذا لَحِقوا بِهِمْ. ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِن اللَّه وَفَضْلٍ﴾ أيْ: يُسَرّونَ وَيَفْرَحونَ بِما أنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أنْواعِ النَّعيمِ، وَما تَفَضَّلَ وَتَكَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ جُودِهِ وَإحْسانِهِ، وَهِيَ ثَوابُ أعْمالِهِمْ. ﴿وأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المؤْمِنِينَ﴾ أيْ: لا يُبْطِلُ جَزاءَ أعْمالِهِمْ، بَلْ يَثيبَهُمْ عَلَيْها.

وفِي الآياتِ حَثٌّ عَلى الجِهادِ وَتَرْغيبٌ في الشَّهادَةِ، وَأنَّ الشُّهَداءَ لَهُمْ مَنْزِلَةٌ عالِيَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، **وَفيها أيْضًا**: بَعْثٌ عَلى ازْدِيادِ الطّاعَةِ، وَإحْمادٌ لِمَن يَتَمَنّى لِإخْوانِهِ مِثْلَ ما أنْعَمَ عَلَيْه، وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ بِالفَلاحِ، وَإثْباتُ نَعيمِ البَرْزَخِ. وَذَكَرَ العَلّامَةُ ابْنُ سَعْدِيّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعالى – أنَّ في هَذِهِ الآياتِ ما يَدُلُّ "عَلى تَلاقي أرْواحِ أَهْلِ الخَيْرِ، وَزِيارَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَتَبْشيرِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا"(١). وَالآياتُ لَيْسَ فيها دلالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلى ما ذَكَرَهُ الشَّيْخُ، رَحِمَهُ اللهُ. وَقَدْ ذَكَرَ هَذا ابْنُ القَيِّمِ – رَحِمَهُ اللهُ – وَقَرَّرَهُ في كِتابِهِ (الرّوح)، وَذَكَرَ – رَحِمَهُ اللهُ – وَقائِعَ تَدُلُّ عَلى ذَلِكَ، لَكِنَّ مِثْلَ هَذِهِ المسألَةِ تَحْتاجُ إلى دليلٍ وَاضِحٍ وَصَريحٍ، يَدُلُّ عَلى إثْباتِ التَّلاقي، وَلَمْ يَرِدْ فيها شَيْءٌ فيما أعْلَمُ، وَاللهُ تَعالى أعْلَمُ، وَرَدُّ العِلْمِ إلَيْهِ أسْلَمُ.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٥٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢].

أخْرَجَ الإمامُ البُخارِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْها - أنَّها قالَتْ لعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي، كانَ أَبَوَاكِ مِنْهُمْ الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، لَمَّا أَصَابَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا فقالَ: «مَنْ يَرْجِعُ فِي إِثْرِهِمْ؟»، فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ[1]، رَضِيَ اللهُ عَنْهُما.

﴿الَّذِينَ اسْتَجابُوا للهِ وَالرَّسُولِ﴾ الَّذينَ امْتَثَلوا أمْرَ اللهِ وَرَسولِهِ، وَخَرَجوا إلى حَمْراءِ الأسَدِ. ﴿مِنْ بَعْدِ ما أصابَهُمْ القَرْحُ﴾ ألَمُ الجِراحِ وَالقَتْلِ، وَذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ. ﴿لِلَّذِينَ أحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هُوَ الجَنَّةُ.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

﴿الَّذينَ﴾ بَدَلٌ مِنْ (الَّذينَ اسْتَجابوا) ﴿قالَ لَهُمُ النّاسُ﴾ أيْ: نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ الأشْجَعِيُّ: ﴿إنَّ النّاسَ﴾ أيْ: أبا سُفْيانَ وَأصْحابَهُ. ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ جُموعًا كَثيرَةً لِقِتالِكُمْ. ﴿فاخْشَوْهُمْ﴾ أيْ: فَخافوهُمْ، فَلَمْ يَلْتَفِتِ الصَّحابَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - إلى هَذا الكَلامِ، وَلَم يَضْعُفُوا، وَتَجَهَّزوا وَخَرَجوا لِلِقاءِ عَدُوِّهِمْ، مُتَوَكِّلينَ عَلى رَبِّهِمْ. ﴿فَزادَهُمْ﴾ ذَلِكَ القَوْلُ. ﴿إيمانًا﴾ تَصْديقًا بِاللَّهِ وَيَقينًا. ﴿وقالُوا حَسْبُنا اللَّهُ﴾ كافِينا اللهُ، فَالحَسْبُ: الكافي. ﴿ونِعْمَ الوَكِيلُ﴾ أيْ: أُثْني عَلى مَنْ هُوَ قَيِّمٌ عَلى أُمورِنا، وَقائمٌ عَلى مَصالِحِنا، وَكَفيلٌ بنا وَهُوَ اللهُ تَعالى. رَوَى البُخارِيُّ، عَن ابْنِ عبّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْها - قالَ: "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، قالَها إبْراهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقالَها مُحَمَّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قالَ لَهُ النّاسُ: ﴿إنَّ النّاس

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾"[١].

۞ ۞ ۞

﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾

[آل عمران: ١٧٤].

﴿فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِن اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ أيْ: فَرَجَعوا مِنْ حَمْراءِ الأسَدِ بِسَلامَةٍ ممّا خُوِّفوا بِهِ. ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ مِن قَتْلٍ أوْ جُرْحٍ. ﴿واتَّبَعُوا رِضْوانَ اللَّهِ﴾ بِطاعَتِهِ وَطاعَةِ رَسولِهِ فِي الخُرُوجِ، وَهَذا فيهِ أنَّ الاسْتِجابَةَ لِلهِ وَلِلرَّسولِ سَبَبٌ لِرِضى اللهِ تَعالى. ﴿واللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ "قَدْ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِالتَّثْبِيتِ وَزِيادَةِ الإيمانِ، وَالتَّوْفِيقِ لِلْمُبادَرَةِ إلى الجِهادِ، وَالتَّصَلُّبِ فِي الدِّينِ وَإظْهارِ الجَراءَةِ عَلى العَدُوِّ، وَبِالحِفْظِ عَن كلّ ما يَسُوؤهُمْ، وَإصابَةِ النَّفْعِ مَعَ ضَمانِ الأجْرِ، حتّى انْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ، وَفِيهِ تَحْسِيرٌ لِلْمُتَخَلِّفِ وَتَخْطِئَةُ رَأْيِهِ حَيْثُ حَرَمَ نَفْسه ما فازُوا بِهِ." قالَهُ البَيْضاوِيُّ[٢]، رَحِمَهُ اللهُ.

وَنَسْتَفِيدُ مِنْ هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ الكَرِيمَتَيْنِ عِظَمَ هَذِهِ الكَلِمَةِ العَظِيمَةِ "حَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ"، وَبَيانَ عَظِيمِ أثَرِها، فَالصَّحابَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - لما قالَوها أعْطاهُمُ اللهُ تَعالى؛ وَكافَأهُمْ بِأرْبَعِ مِنَحٍ: النِّعْمَةِ، وَالفَضْلِ، وَلَمْ يَمْسَسْهُمْ سوءٌ، وَاتَّبَعوا رِضوانَ اللهِ تَعالى، فَيُشْرَعُ لِلْمؤمِنِ أنْ يُكْثِرَ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَلا سِيَّما فِي المواقِفِ العَصِيبَةِ وَالحَرِجَةِ، قالَ تَعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أيْ: فَهُوَ كافِيهِ وَحافِظُهُ، وَوَكِيلُهُ فِي السَّرّاءِ وَالضَّرّاءِ، وَالهُمومِ وَالمخاوِفِ، وَالحُزْنِ وَالفَرَحِ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلى اللهِ كَفاهُ، وَما خابَ مَنْ دَعاهُ وَرجاهُ.

۞ ۞ ۞

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

﴿إنَّما ذَلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أوْلِياءَهُ﴾ أيْ: يُخَوِّفُكُمْ وَيُهَدِّدُكُمْ بِأوْلِيائِهِ؛ يَعْنِي:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٤٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكُفَّارَ. ﴿فَلا تَخافوهُمْ﴾ أيْ: أوْلِياءَهُ. ﴿وَخافُونِ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَالخَوْفُ مِنَ العِباداتِ القَلْبِيَّةِ الَّتي يَجِبُ أنْ تُصْرَفُ لِلهِ، وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَهُوَ ما يُسمّى بِخَوْفِ العِبادَةِ، وَذلِكَ بِأنْ يُخافَ غَيْرُ اللهِ فيما لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلا اللهُ؛ فَهَذا شِرْكٌ أكْبَرُ، كالَّذينَ يخافونَ مَنْ بِالقُبورِ وَالأضْرِحَةِ، وَيَرْجونَ عَوْنَهُمْ، أمّا الخَوْفُ الطَّبيعيُّ، كأنْ تَخافَ سَبْعًا أوْ حَيَّةً أوْ عَقْرَبًا؛ فَهَذا لا يُسَمّى شِرْكًا، وَلِهَذا قالَ تَعالى في موسى، عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿فَخَرَجَ مِنْها خائفًا يَتَرَقَّبُ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [آل عمران: ١٧٦].

﴿وَلا يَحْزُنْكَ الَّذينَ يُسارِعونَ في الكُفْرِ﴾ أيْ: لا تَهْتَمّ وَلا تُبالِ بِهَؤلاءِ الَّذينَ يَقَعونَ في الكُفْرِ سَريعًا، وَيبادِرونَ إلَيْهِ بِمُظاهَرَةِ الكُفّارِ، وَهُمُ المنافِقونَ وَاليَهودُ وَالمشْرِكونَ. ﴿إنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شيئًا﴾ بِمُسارَعَتِهِمْ في الكُفْرِ، وَإنَّما يَعودُ ضَرَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَاللهُ تَعالى غَنِيٌّ عَنْهُمْ، وَقَدْ قالَ اللهُ تَعالى في الحَديثِ القُدسِيِّ الطَّويلِ، وَفيهِ: (يا عِبادي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغوا ضُرِّي فَتَضُرُّوني، وَلَنْ تَبْلُغوا نَفْعي فَتَنْفَعوني)[1]. خَرَّجَهُ الإمامُ مُسْلِمٌ، في صَحيحِهِ مِنْ حَديثِ أبي ذَرٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ﴿يُرِيدُ اللهُ أنْ لا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾ نَصيبًا. ﴿في الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ) **وَالآيَةُ فيها** تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ كانَ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - شَديدَ الحِرْصِ عَلى هِدايَةِ النّاسِ، وَكانَ يُحْزِنُهُ حُزْنًا شَديدًا مُسارَعَةُ الكُفّارِ في الكُفْرِ، وَمُبادَرَتُهُمْ إلَيْهِ؛ فَنَهاهُ اللهُ تَعالى عَنْ ذَلِكَ، كَما قالَ تَعالى: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ﴾، وَقال: ﴿فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إنْ لَمْ يُؤمِنوا بِهَذا الحَديثِ أسَفًا﴾.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ [آل عمران: ١٧٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ أيْ: اسْتَبْدَلوا. ﴿الكُفْرَ بِالإِيمانِ لَنْ يَضُرّوا اللهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤْلِمٌ.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨].

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ كَفَروا إِنَّما نُمْلي﴾ أيْ: إمْلاءَنا وَإمْهالَنا. ﴿لَهُمْ﴾ بِتَطْوِيلِ الأَعْمارِ، وَتَأْخِيرِهِمْ. ﴿خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾ فَلَيْسَ الأمْرُ كَذَلِكَ، بَلْ ﴿إِنَّما نُمْلي لَهُمْ لِيَزْدادوا إِثْمًا﴾ كما قالَ اللهُ تَعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ إِنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ. نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾ وَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿إِنَّما نُمْلِي﴾ نُمْهِلُ. ﴿لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْمًا﴾ ظُلْمًا بِكَثْرَةِ المَعاصِي. ﴿ولَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ فَاللهُ تَعالى يُمْهِلُ، وَيزيدُ فِي الأَمَلِ، وَلَكِنَّهُ - سُبْحانَهُ - لا يُهْمِلُ، وَلا يَنْسى وَلا يَدَعُ، يَتْرُكُ الإنْسانَ فِي طُغْيانِهِ سادِرًا لا يَعي وَلا يَتَدَبَّرُ، يَصْبِرُ عَلَيْهِ وَيَتْرُكُهُ، وَيَحْلُمُ فِي التَّعامُلِ مَعَهُ وَلا يُعاجِلُهُ، وَلَكِنَّهُ إذا جاءَ الوَعْدُ، وَحانَ الوَقْتُ، فَإنَّ أخْذَهُ أليمٌ شَديدٌ، فلا يَنْبَغي لِلْعَبْدِ أنْ يَغْتَرَّ بِحِلْمِ اللهِ عَلَيْهِ، فَقَدْ يَكونُ ما عَلَيْهِ مِنَ الأمْنِ فِي المَعْصِيَةِ وَالظُّلْمِ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ؛ إنَّما هُوَ اسْتِدْراجٌ مِنَ اللهِ تَعالى لَهُ، حَتّى إذا سَبَقَ الكِتابُ أخَذَهُ اللهُ أخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ. جاءَ فِي الصَّحيحَيْنِ، مِنْ حَديثِ أبي موسى الأشْعَرِيّ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظّالِمِ حتّى إذا أخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»[1] قالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذلكَ أخْذُ رَبِّكَ إذا أخَذَ القُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إنَّ أخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[2].

(١) أخرجه البخاري(٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٢) أُريدُ أنْ أُنَبِّهَ إلى أنَّ (ما) في ﴿إِنَّمَا﴾ اسْمٌ مَوْصولٌ بِمَعْنى: الَّذي، مَبْنِيٌّ في مَحَلِّ اسْمِ أنَّ، وَهِيَ تُكْتَبُ إمْلائيًّا هَكَذا (أنَّ ما)؛ حَتّى لا تَلْتَبِسَ مَعَ ما الكافَّةِ، وَ﴿خَيْرٌ﴾ خَبَرُ أنَّ، وَأنَّ وَاسْمُها وَخَبَرُها سَدَّتْ مَسَدَّ مَفْعولَيْ ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ وَ﴿إِنَّمَا﴾ الثانِيَةُ كافَّةٌ وَمَكْفوفَةٌ لا عَمَلَ لَها، وَاللهُ أعْلَمُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران: ١٧٩].

﴿ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ لِيَدَعَ. ﴿المُؤْمِنِينَ عَلى ما أنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ مِن اشْتِباهِ المُؤْمِنِ بِالمنافِقِ. ﴿حَتّى يَمِيزَ﴾ أيْ: يَتَمَيَّزَ. ﴿الخَبِيثَ﴾ المنافِقَ. ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤْمِنِ، فَظَهَرَ ذَلِكَ "يَوْمَ أُحُدٍ الَّذي امْتَحَنَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَظَهَرَ بِهِ إِيمَانُهُمْ وَصَبْرُهُمْ وَجَلَدُهُمْ وَثَبَاتُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَتَكَ بِهِ سِتْرَ الْمُنَافِقِينَ، فَظَهَرَ مُخَالَفَتُهُمْ وَنُكُولُهُمْ عَنِ الْجِهَادِ وَخِيَانَتُهُمْ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ." قالَه ابْنُ كَثيرٍ[1]، رَحِمَهُ اللهُ. ﴿وما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلى الغَيْبِ﴾ أيْ: وَما كانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلى ما في القُلوبِ؛ فَتَعْرِفُوا المنافِقَ مِنْ غَيْرِهِ. ﴿ولَكِنَّ اللَّه يَجْتَبِي﴾ يَخْتارُ وَيَصْطَفي. ﴿مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ فَيُطْلِعَهُ عَلى غَيْبِهِ، كَما أطْلَعَ النَّبِيَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلى حالِ المنافِقِينَ، وَكانَ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - مِمَّن اصْطَفاهُ اللهُ تَعالى، وَاخْتارَهُ بِهَذا العِلْمِ حتّى عَرَفَ المنافِقينَ بأسمائِهِمْ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُله وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أجْرٌ عَظيمٌ﴾.

وَتُوَضِّحُ لَنا هَذِهِ الآيَةُ العَظيمَةُ بِجَلاءٍ، أنَّ التَّكاليفَ الشَّرْعِيَّةَ وَالمِحَنَ وَالخُطوبَ وَالأزَماتِ هِيَ المَحَكُّ وَالمخْتَبَرُ؛ فَمِنْ خِلالِها يَتَمَيَّزُ المؤمِنُ مِنَ المنافِقِ، وَالصّادِقُ مِنَ الكاذِبِ، وَقَدْ جَعَلَها اللهُ - تَعالى - أسْبابًا لِيُرَتِّبَ عَلى ذَلِكَ ثوابَهُ وَعِقابَهُ، وَلِيُظْهِرَ عَدْلَهُ وَفَضْلَهُ، وَحِكْمَتَهُ لِخَلْقِهِ.

۞ ۞ ۞

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠].

أخْرَجَ الإمامُ البُخارِيُّ في صَحيحِهِ، مِنْ حَديثِ أبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ١٧٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «مَن آتاهُ اللَّهُ مالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مالُهُ يَومَ القِيامَةِ شُجاعًا أقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتانِ يُطَوَّقُهُ يَومَ القِيامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يقولُ أنا مالُكَ أنا كَنْزُكَ»، ثُمَّ تَلا:﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَبْخَلُونَ﴾[1]، عَنِ الحُقوقِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الزَّكاةِ وَالنَّفَقاتِ الواجِبَةِ، وَغَيْرِها ﴿بِما آتاهُمُ اللَّه مِن فَضْله هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ﴾ أيْ: البُخْلُ. ﴿شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ﴾ كَما وَرَدَ فِي حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَالأحادِيثُ في الوَعيدِ مِنْ مَنْعِ الزَّكاةِ وَاكْتِنازِ المالِ أكْثَرُ مِنْ أنْ تُحْصَرَ، وَأشْهَرُ مِنْ أنْ تُذْكَرَ. ﴿وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ أيْ: للهِ وَحْدَهُ ما فِي السَّمواتِ وَالأرْضِ مِمّا يَتَوارَثُهُ أَهْلُهُما، وَأنَّهُ - تَعالى - هُوَ المالِكُ لَهُ حَقيقَةً، فَما لَهم يَبْخَلُونَ عَلَيْهِ بِمِلْكِهِ، وَلا يُنْفِقُونَهُ في سَبيلِهِ! وَشَبيهُ هَذِهِ الآيَةِ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وأنْفِقُوا مِمّا جَعَلَكم مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾، ﴿واللَّه بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فَيُجازِيكُمْ بِهِ.

۞ ۞ ۞

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران: ١٨١].

قالَ أَهْلُ التَّفْسيرِ: لَمّا نَزَلَ ﴿مَن ذا الَّذي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قالَ اليَهودُ - قَبَّحَهُمُ اللهُ وَأخْزاهُمْ -: إنَّ اللهَ فَقيرٌ وَنَحْنُ أغْنِياءُ يَقْتَرِضُ مِنّا. ﴿سَنَكْتُبُ ما قالَوا﴾ نَأْمُرُ بِكَتْبِ ما قالَوهُ مِن هَذِهِ الفِرْيَةِ القَبيحَةِ الشَّنْعاءِ فِي صَحائِفِ أعْمالِهِمْ. ﴿وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ﴾ النّارِ، وَيُقال لَهُمْ إذا أُلْقُوا فِيها:

۞ ۞ ۞

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران: ١٨٢].

﴿ذَلِكَ﴾ العَذابُ. ﴿بِما قَدَّمَتْ أيْدِيكُمْ﴾ مِنْ قَوْلِهِمُ هَذا الشَّنيعِ، وَقَوْلِهِمْ أيْضًا - قَبَّحَهُمُ اللهُ -: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلولَةٌ﴾، ﴿وَقَتْلِهِمُ الأنْبِياءَ﴾، وَغَيْرِها من مَعاصيهِمْ، وَمِنْ

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعْظَمِها الكُفْرُ بِاللهِ، وَعَبَّرَ بِاليَدِ عَن الإنْسانِ؛ لِأَنَّ أكْثَرَ الأَفْعالِ تُزاوَلُ بِها ﴿وأَنَّ اللَّه لَيْسَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣ ﴾

[آل عمران: ١٨٣].

﴿الَّذينَ قالَوا إنَّ اللهَ عَهِدَ إلَيْنا﴾ أيْ: أوْصانا في التَّوْراةِ. ﴿أَلَّا نُؤمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأتِيَنا بِقُربانٍ تَأكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ أيْ: بِألّا نُؤْمِنَ لِرَسولٍ حَتّى يُقَرِّبَ قُرْبانًا، وَلَمْ يُذْكَرْ نَوْعُ القُرْبانِ؛ مِمّا يَدُلُّ عَلى أنَّهُ يُقَرِّبُ أيَّ قُرْبانٍ، فَتَنْزِلُ نارٌ مِنَ السَّماءِ فَتَأْكُلُ هَذا القُرْبانَ، فَإنْ جِئْتَنا بِهِ آمَنّا بِكَ وَصَدَّقْناكَ، وَهَذا مِنْ أكاذيبِهِمْ وَأباطيلِهِمْ، قالَ اللهُ تَعالى؛ رَدًّا عَلَيْهِم: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بِالحُجَجِ وَالآياتِ وَالبَراهينِ وَالمُعْجِزاتِ. ﴿وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ﴾ مِنَ الإتْيانِ بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النّارُ. ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ وَهَذا مِنْ بابِ مُوافَقَةِ الخَصْمِ، وَإلّا فَهُمْ كَذَبَةٌ فيما ادَّعوهُ، بِدَليلِ: ﴿إِنْ كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دَعْواكُمْ؟ فَفي قَوْلِهِ: ﴿إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ﴾ دَليلٌ عَلى أنَّ ما ادَّعَوْهُ أصْلًا كَذِبٌ وَافْتِراءٌ، فَتَبَيَّنَ بِهَذا كَذِبُهُمْ وَعِنادُهُمْ، وَأنَّ مُرادَهُمْ مِنْ هَذا كُلِّهِ عَدَمُ إيمانِهِمْ بِشَريعَةِ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ مُرادُهُمُ البَحْثَ عَنِ الحَقِّ، وَالوُصولَ إلَيْهِ.

۞ ۞ ۞

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤ ﴾

[آل عمران: ١٨٤].

﴿فَإنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ جاءُوا بِالبَيِّناتِ وَالزُّبُرِ﴾ أيْ: الكُتُبِ. ﴿والكِتابِ﴾ القُرْآنِ. ﴿المُنِيرِ﴾ الواضِحِ، **وَالآيَةُ فيها** تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِمّا يَلْقاهُ مِنَ اليَهودِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الكُفّارِ.

۞ ۞ ۞

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ أيْ: تُعْطَوْنَ جَزاءَ أعْمالِكُمْ وَافِيَةً تامَّةً. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ وَهَذا - واللهِ - هُوَ الفَوْزُ الحَقِيقِيُّ، الَّذي لا يُعادِلُهُ فَوْزٌ إلّا رُؤيَةُ اللهِ تَعالى؛ فَهِيَ أفْضَلُ نَعيمِ الجَنَّةِ، نَسْألُ اللهَ تَعالى الكَريمَ مِنْ فَضْلِهِ، لِحَديثِ صُهَيْبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النّارِ النّارَ، نادى مُنادٍ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ، إنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أنْ يُنْجِزَكُموهُ، فيقولونَ: وَما هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللهُ موازِينَنا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنا، وَيُدخِلْنا الجَنَّةَ، وَيُنجِّنا مِنَ النّارِ؟ فيُكْشَفُ الحِجابُ، فَيَنْظرونَ إلَيْهِ، فَوَاللهِ! ما أعْطاهُمُ اللهُ شَيْئًا أحَبَّ إلَيْهِمْ مِنَ النَّظْرِ إلَيْهِ وَلا أقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ»[(١)]. ﴿وما الحَياةُ الدُّنْيا إلاَّ مَتاعُ الغُرورِ﴾ مُتْعَةٌ زائلَةٌ؛ فَلا تَغْتَرّوا بِها، فَما فيها مِنْ نَعيمٍ وَمَتاعٍ كُلُّهُ لا قيمَةَ لَهُ عِنْدَ اللهِ.

۞ ۞ ۞

﴿ * لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾

[آل عمران: ١٨٦].

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾[(٢)]، الابْتِلاءُ: الاخْتِبارُ، وَالمرادُ بِهِ هُنا: المصيبَةُ. ﴿فِي أمْوالِكُمْ﴾ بِأنْواعِ النَّفَقاتِ. ﴿وأَنْفُسِكُمْ﴾ بِالبَلاءِ وَالخَوْفِ وَالجوعِ، وَهَذِهِ الآيَةُ كآيَةِ البَقَرَةِ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأمْوالِ.. ﴾. الخ. ﴿ولَتَسْمَعُنَّ مِن الَّذينَ أُوتُوا الكِتاب مِن قَبْلِكُمْ وَمِن الَّذينَ أشْرَكُوا أذًى كَثِيرًا﴾ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ. ﴿وإنْ تَصْبِرُوا﴾ عَلى ذَلِكَ. ﴿وتَتَّقُوا﴾ اللهَ بِفِعْلِ أوامِرِهِ، وَاجْتِنابِ نَواهيهِ. ﴿فَإنَّ ذَلِكَ﴾ الصَّبْرَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١).

(٢) (اللّامُ) لامُ القَسَمِ، أيْ: وَاللهِ لَتُبْلَوُنَّ. وَ(تُبْلَوُنَّ) فِعْلٌ مُضارِعٌ مَرْفوعٌ، وَعَلامَةُ رَفْعِهِ ثُبوتُ النّونِ المحْذوفَةِ لِتَوالي الأمْثالِ، وَ(واوُ الجَماعَةِ) المحْذوفَةُ لِالْتِقاءِ السّاكِنينَ: ضَميرٌ مُتَّصِلٌ في مَحَلّ رَفْعٍ فاعِلٍ، وَالنّونُ المشَدَّدَةُ: نونُ التَّوْكيدِ الثَّقيلَةُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالتَّقْوى. ﴿مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ أيْ: مِنَ الأُمورِ التي يَنْبَغي للمُسْلِمِ العاقِلِ العَزْمُ عَلَيْها.

۞ ۞ ۞

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

﴿وإذْ أخَذَ اللَّه مِيثاقَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾ يَعْني: العُلماءَ. ﴿لَتُبَيِّنُنَّه﴾ الهاء تَرْجِعُ إلى الكِتابِ، وَقيل: تَرْجِعُ إلى مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالأقْرَبُ: أنَّها تَرْجِعُ إلى الكِتابِ، وَيَدْخُلُ فيهِ بَيانُ نُبُوَّةِ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ﴿لِلنّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ أيْ: وَلا تُخْفونَهُ وَتَجْحَدونَهُ. ﴿فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أيْ: ضَيَّعوهُ، وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ. ﴿واشْتَرَوْا بِهِ﴾ أيْ: اسْتَبْدَلوا بِذَلِكَ. ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنْ حُطامِ الدُّنْيا؛ كَالمالِ وَالجاهِ وَالمَنْصِبِ. ﴿فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ﴾ وَالآيَةُ فيها وُجوبُ إظْهارِ العِلْمِ، وَالتَّحْذيرُ الشَّديدُ مِنْ كَتْمِهِ، وَقد أخْرَجَ أبو داودَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ ماجَةَ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَهُ اللهُ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ يَوْمَ القِيامَةِ». وَقالَ أبُو هُرَيْرَةَ: "لَوْلا ما أخَذَ عَلى أهْلِ الكِتابِ ما حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ"، ثُمَّ تلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾[1].

۞ ۞ ۞

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨].

﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَفْرَحونَ بِما أَتَوْا﴾ بِما فَعَلوا مِنْ إضْلالِ النّاسِ، وَهُمُ اليَهودُ. ﴿ويُحِبّونَ أنْ يُحْمَدوا بِما لَمْ يَفْعَلوا﴾ أيْ: وَأحَبُّوا أنْ يُحْمَدوا بِالتَّمَسُّكِ بِالحَقِّ، وَقالوا: نَحْنُ أصْحابُ التَّوْراةِ، وَهُمْ عَلى ضَلالٍ مُبينٍ. ﴿فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ﴾ بِمَنْجاةٍ. ﴿مِنَ العَذابِ وَلَهُمْ عَذابٌ أليمٌ﴾ في الصَّحيحَيْنِ، عَنْ عبدِاللهِ بْنِ عَبّاسٍ، أنَّ مَرْوانَ قالَ

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لِبَوّابِهِ: "اذْهَبْ يا رافِعُ إلى ابْنِ عَبّاسٍ، فَقُلْ: لَئِنْ كانَ كُلُّ امْرِئٍ فَرِحَ بما أُوتِيَ، وَأَحَبَّ أنْ يُحْمَدَ بما لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّبًا، لَنُعَذَّبَنَّ أجْمَعُونَ"، فقالَ ابنُ عَبّاسٍ: "وما لَكُمْ وَلِهَذِهِ، إنَّما دَعا النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودَ فَسَأَلَهُمْ عَن شيءٍ فَكَتَمُوهُ إيّاهُ، وَأَخْبَرُوهُ بغَيْرِهِ فأرَوْهُ أنْ قَدِ اسْتَحْمَدُوا إلَيْهِ، بما أخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيما سَألَهُمْ، وَفَرِحُوا بما أُوتُوا مِن كِتْمانِهِمْ"، ثُمَّ قَرَأَ ابنُ عَبّاسٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتاب﴾ كَذلكَ حتّى قَوْلِ: ﴿يَفْرَحُونَ بما أتَوْا وَيُحِبّونَ أنْ يُحْمَدُوا بما لَمْ يَفْعَلُوا﴾ (١).

وفي الصَّحيحَيْنِ، أنَّ أبا سعيدٍ الخُدْرِيَّ ذَكَرَ أنَّ سَبَبَ نُزول الآيَةِ هُوَ: أنَّ رِجالًا مِن مُنافِقِي المدينَةِ كانوا يَتخلَّفونَ عَن الخُروجِ مَعَ رَسولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغَزَواتِ، وَكانوا يَفْرَحونَ بِقُعودِهِمْ وَتَخَلُّفِهِمْ عَنْهُ، فَإذا ما رَجَعَ مِنَ الغَزْوِ ذَهَبوا إلَيْهِ وَاعْتَذَروا عَنْ عَدَمِ خُروجِهِمْ، وَتَعَلَّلُوا بما لا يَصِحُّ وَهُمْ فيهِ يَكذِبونُ، وَأَحبُّوا أنْ يُحمَدوا مَعَ ذَلِكَ بما لَمْ يَفْعَلوهُ، فَظَنُّوا أنَّهُمْ يُخادِعونَ اللهَ تَعالى وَهُوَ خادِعُهُمْ، وَلَهُمْ في الآخِرَةِ ما يَسْتَحِقُّونَهُ، وَفي ذَلِكَ أنْزَلَ اللهُ تَعالى هَذِهِ الآيَةَ. وَلا مُنافاةَ بَيْنَ ماوَرَدَ في حَديثِ ابْنِ عبّاسٍ، وَحَديثِ أبي سَعيدٍ؛ لِأنَّ الآيَةَ عامَّةٌ في جَميعِ ما ذُكِرَ، كَما قالَ العَلّامَةُ الحافِظُ ابْنُ كَثيرٍ، رَحِمَهُ اللهُ. وَهَذِهِ الآيَةُ وَإنْ كانَتْ مَحْمُولَةً عَلى الكُفّارِ لِما تَقَدَّمَ، فَفِيها تَرْهِيبٌ لِلْمُؤْمِنِينَ عَمّا ذَمَّ عَلَيْهِ أَهْلَها مِنَ الإصْرارِ عَلى القَبائِحِ وَالفَرَحِ بِها، وَمَحَبَّةِ المِدْحِ بِما عَرا عَنْهُ مِنَ الفَضائِلِ. وَيَدْخُلُ في ذَلِك المراؤُونَ المتَكَثِّرُونَ بِما لَمْ يُعْطُوا، كَما جاءَ في الصَحيحيْنِ عَن النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ ادَّعى دَعْوى كاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِها لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إلّا قِلَّةً» (٢).

وفي الصَّحيحَيْنِ أيْضًا: «المُتَشَبِّعُ بِما لَمْ يُعْطِ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ» (٣). "فَلْيَحْذَرْ مَن

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (١١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٢٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَأْتِي بِما لا يَنْبَغي وَيَفْرَحُ بِهِ، ثُمَّ يَتَوَقَّعُ مِنَ النّاسِ أنْ يَصِفُوهُ بِسَدادِ السِّيرَةِ، وَاسْتِقامَةِ الطَّرِيقَةِ، وَالزُّهْدِ وَالإقْبالِ عَلى اللَّهِ تَعالى". قالَه الإمامُ القاسِمِيُّ(١)، رَحِمَهُ اللهُ.

۞ ۞ ۞

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٨٩ – ١٩١].

﴿الَّذينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ عَلى كُلِّ أحْوالِهِمْ. ﴿قِيامًا وَقُعُودًا وَعَلى جُنُوبِهِمْ﴾ وَهَذا شامِلٌ لِحالِهِمْ في الصَّلاةِ وَخارِجَها، وَقد أخْرَجَ الإمامُ البُخارِيُّ في صَحيحِهِ، عَنْ عُمْرانَ بْنِ حُصَيْنٍ قالَ: كانَتْ بي بواسيرُ، فَسَأَلْتُ رَسولَ اللهِ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنِ الصَّلاةِ؟ فَقالَ: «صَلِّ قائِمًا، فَإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقاعِدًا، فَإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلى جَنْبٍ»(٢). ﴿وَيَتَفَكَّرونَ في خَلْقِ السَّماواتِ وَالأرْضِ﴾ وَما فيهِما مِنَ الآياتِ العَظيمَةِ، وَالمشاهِدِ العَجيبَةِ؛ فَالتَّفَكُّرُ مِنَ العِباداتِ القَلْبِيَّةِ العَظيمَةِ. قالَ أبو الدَّرْداءِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "تَفَكُّرُ ساعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيامِ لَيْلَةٍ". لِماذا؟ الجَوابُ: لِأنَّ التَّفَكُّرَ يُحْيي القَلْبَ، وَيَغْرِسُ فيهِ الخَوْفَ وَالخَشْيَةَ مِنَ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ. ﴿رَبَّنا﴾ أيْ: وَيَقولونَ: ﴿رَبَّنا ما خَلَقْتَ هَذا﴾ أيْ: هَذا الخَلْقَ العَظيمَ المُحْكَمَ. ﴿باطِلًا﴾ أيْ: خَلْقًا باطِلًا، بَلْ خَلَقْتَهُ لِحِكَمٍ عَظيمَةٍ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ – تَعالى – في سُورَةِ (ص) أنَّ الَّذينَ يَظُنُّونَ ذَلِكَ هُمُ الكُفّارُ، وَهَدَّدَهُمْ عَلى ذَلِكَ الظَّنِّ الفاسِدِ، فَقالَ: ﴿وَما خَلَقْنا السَّماءَ وَالأرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذينَ كَفَروا فَوَيْلٌ لِلَّذينَ كَفَروا مِنَ النّارِ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران: ١٩٢].

﴿رَبَّنا إنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النّارَ فَقَدْ أخْزَيْتَهُ﴾ أهَنْتَهُ غايَةَ الإهانَةِ. ﴿وما لِلظّالِمينَ مِن

(١) محاسن التأويل (٢/ ٤٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (١١١٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنْصارٍ﴾ يَنْصُرونَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ، وَيَمْنَعُونَهُمْ مِن عَذابِ اللَّهِ تَعالى.

۞ ۞ ۞

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣].

﴿رَبّنا إنَّنا سَمِعْنا مُنادِيًا يُنادِي لِلْإيمانِ﴾ وَهُوَ مُحَمَّدٌ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَ أكْثَرِ المفَسِّرينَ، بِدَليلِ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إنّا أرْسَلْناكَ شاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذيرًا وَداعِيًا إلى اللهِ بِإذْنِهِ وَسِراجًا مُنيرًا﴾ وَقيلَ: هُوَ القُرْآنُ؛ بِدَليلِ قَوْلِهِ تَعالى:﴿إنّا سَمِعْنا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدي إلى الرُّشْدِ فآمَنّا بِهِ..﴾.

﴿أنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنّا رَبّنا فاغْفِرْ لَنا ذُنُوبنا﴾ المغْفِرَةُ: سَتْرُ الذَّنْبِ وَالتَّجاوُزُ عَنْهُ، وَالمرادُ بِها هُنا - وَاللهُ أعْلَمُ - كَبائرُ الذُّنوبِ. ﴿وكَفِّرْ﴾ حُطَّ. ﴿عَنّا سَيِّئاتِنا﴾ وَالمرادُ بِها هُنا - وَاللهُ أعْلَمُ - صَغائرُ الذُّنوبِ. ﴿وتَوَفَّنا مَعَ الأبْرارِ) أيْ: ألْحِقْنا في جُمْلَةِ الأنْبياءِ وَالصّالِحينَ، وَحَسُنَ أولَئكَ رَفيقًا.

۞ ۞ ۞

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

[آل عمران: ١٩٤].

﴿رَبّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَّنا عَلى﴾ ألْسِنَةِ. ﴿رُسُلِكَ﴾ مِنْ دُخولِ الجَنَّةِ. ﴿ولا تُخْزِنا﴾ وَلا تُهِنّا وَتَفْضَحْنا. ﴿يَوْمَ القِيامَةِ﴾ عَلى رُؤوسِ الخَلائقِ. ﴿إنَّكَ لا تُخْلِفُ الميعادَ﴾ الوَعْدَ بِالبَعْثِ وَالجَزاءِ، وَقَدْ وَرَدَ في فَضْلِ هَذِهِ الآياتِ، ما رَواهُ البُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ، عَن ابْنِ عَبّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - أنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - وَهِيَ خَالَتُهُ، قالَ: "فَنَامَ رَسولُ اللَّهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتّى إذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَن وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عِمْرَانَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي"[(١)]. قالَ النَّوَوِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ: "فيهِ اسْتِحْبابُ قِراءَةِ هَذِهِ الآياتِ عِنْدَ القِيامِ مِنَ النَّوْمِ". انْتَهى.

۞ ۞ ۞

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

[آل عمران: ١٩٥].

﴿فاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دُعاءَهُمْ، وَ(الفاءُ) لِلتَّعْقيبِ، فَتُفيدُ سُرْعَةَ اسْتِجابَةِ اللهِ لِدُعائِهِمْ، قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ: "مازالوا يَقولونَ: رَبَّنا، رَبَّنا، حتّى اسْتَجابَ اللهُ لَهُمْ" ﴿أنِّي لا أُضِيعُ﴾ أيْ: لا أُحْبِطُ. ﴿عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أوْ أُنْثى﴾ فَما عَمِلَهُ العامِلُ؛ ذَكَرًا أوْ أُنْثى فَلَنْ يَضيعَ أبَدًا، وَلَنْ يَذْهَبَ سُدًى، كَما قالَ تَعالى: ﴿ووَجَدوا ما عَمِلوا حاضِرًا﴾، وَقالَ: ﴿وَنَضَعُ الموازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ﴾ وَالآياتُ في هَذا المَعْنى كَثيرَةٌ. ﴿بَعْضُكُمْ مِن بَعْضٍ﴾ أيْ: بَعْضُكُمْ كَبَعْضٍ في الثَّوابِ وَالعِقابِ، وَكُلُّكُمْ سَواءٌ. ﴿فالَّذينَ هاجَرُوا﴾ مِن دِيارِ الكُفْرِ إلى دِيارِ الإسْلامِ. ﴿وأُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأُوذُوا في سَبيلي﴾ أيْ: مِنْ أجْلي. ﴿وقاتَلُوا﴾ الكُفّارَ. ﴿وقُتِلُوا﴾ أيْ: استُشْهِدوا. ﴿لَأُكَفِّرَن عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ﴾ أسْتُرُها بِالمَغْفِرَةِ. ﴿ولَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِها الأنْهار ثَوابًا﴾[(٢)]، ﴿مِن عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ﴾ أيْ: الجَزاءِ.

۞ ۞ ۞

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦].

﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذينَ كَفَروا فِي الْبِلادِ﴾ أيْ: لا تَغْتَرّ بِحالِ الكُفّارِ، وَما هُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣).

(٢) ثَوابًا: مَفْعولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلٍ مَحْذوفٍ تَقْديرُهُ: لأثيبَنَّهُمْ ثَوابًا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيهِ مِنْ رَغَدِ العَيْشِ وَالتَّوَسُّعِ في المَلَذّاتِ، وَالسَّيْطَرَةِ وَالغَلَبَةِ، وَالتَّسَلُّطِ في بَعْضِ الأَوْقاتِ عَلى المسْلِمينَ.

۞ ۞ ۞

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾ [آل عمران: ١٩٧].

﴿مَتاعٌ قَليلٌ﴾[١]، يَتَمَتَّعونَ بِهِ قَليلًا، ثُمَّ يَنْتَهي وَيزولُ، كَما قالَ تَعالى: ﴿قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَليلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقى وَلا تُظْلَمونَ فَتيلًا﴾ وَفي صَحيحِ مُسْلِمٍ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قالَ: «وَاللهِ! ما الدُّنْيا في الآخِرَةِ، إلّا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِما يَرْجِعُ؟»[٢] ﴿ثُمَّ مَأواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهادُ﴾ أيْ: الفِراشُ.

۞ ۞ ۞

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ [آل عمران: ١٩٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿نُزُلًا﴾ النُّزُلُ: ما يُهَيَّأُ لِلنَّزيلِ، وَالنَّزيلُ: الضَّيْفُ، قالَ تَعالى: ﴿وَلَكُمْ فيها ما تَشْتَهي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فيها ما تَدَّعونَ * نُزُلًا مِنْ غَفورٍ رَحيمٍ﴾ ﴿وما عِنْدَ اللهِ﴾ مِنَ الكَثيرِ الدّائِمِ. ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ﴾ مِمَّا يَتَقَلَّبُ فيه الكُفّارُ مِنَ القَليلِ الزّائِلِ.

۞ ۞ ۞

﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩﴾ [آل عمران: ١٩٩].

﴿وإنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ وَهُمْ قِلَّةٌ مِنَ اليَهودِ؛ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ وَأَصْحابِهِ، وَكَثيرٌ مِنَ النَّصارى؛ كالنَّجاشِيِّ وَغَيْرِه، كَما في آيَةِ المائِدَةِ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّاسِ عَداوَةً لِلَّذينَ آمَنوا اليَهودَ وَالَّذينَ أَشْرَكوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذينَ آمَنوا

(١) خَبَرٌ لِمُبْتَدَأ مَحْذوفٍ، وَالتَّقْديرُ: (هُوَ - أيْ: التَّقَلُّبُ - مَتاعٌ قَليلٌ).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٥٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الَّذينَ قالَوا إنّا نَصارى﴾...الآيَةُ. ﴿وما أُنْزِلَ إلَيْكُمْ﴾ أيْ: القُرْآنُ. ﴿وما أُنْزِلَ إلَيْهِمْ﴾ أيْ: التَّوْراةُ وَالإنْجِيلُ. ﴿خاشِعِينَ﴾ أيْ: مُتَواضِعِينَ. ﴿لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ﴾ أيْ: لا يَسْتَبْدِلونَ، وَلا يَطْلُبونَ. ﴿بِآياتِ اللَّهِ﴾الَّتي عِنْدَهُمْ في التَّوْراةِ وَالإنْجِيلِ. ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِن الدُّنْيا بِالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ، كَفِعْلِ غَيْرِهِمْ مِنَ اليَهودِ. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أجْرُهُمْ عِنْد رَبِّهِمْ﴾ يُؤْتَوْنَهُ مَرَّتَيْنِ، كَما قالَ تَعالى في سورَةِ القَصَصِ ﴿ الَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِم قالَوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بما صبروا...﴾. وَثَبَتَ في الصَّحيحَيْنِ، عَن أبي موسى الأشْعَرِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثة يُؤْتَوْنَ أجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الأمَةُ، فيُعَلِّمُها فيُحْسِنُ تَعْلِيمَها، وَيُؤَدِّبُها فيُحْسِنُ أدَبَها، ثُمَّ يُعْتِقُها فَيَتَزَوَّجُها فَلَهُ أجْرانِ، وَمُؤْمِنُ أَهْلِ الكِتابِ، الَّذي كانَ مُؤْمِنًا، ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَهُ أجْرانِ، وَالعَبْدُ الَّذي يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ، وَيَنْصَحُ لِسَيِّدِهِ»[1]. ﴿إنَّ اللَّه سَرِيعُ الحِسابِ﴾.

۞ ۞ ۞

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾

[آل عمران: ٢٠٠].

﴿يا أيّها الَّذينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ وَالصَّبْرُ مَعْناهُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنْ أهْوائِها وَشَهَواتِها، وَتَرْويضُها عَلى تَحَمُّلِ المصائِبِ وَالمكارِهِ، وَتَعْويدُها عَلى فِعْلِ الطّاعاتِ، وَتَرْكِ المعَاصِي. ﴿وصابِرُوا﴾ وَالمصابَرَةُ هِيَ مُغالَبَةُ الكُفّارِ؛ فَلا يَكُونُوا أشَدَّ صَبْرًا مِنكُمْ. ﴿ورابِطُوا﴾ وَالرِّباطُ: هُوَ الإقامَةُ في الثُّغورِ الَّتي يُخافُ عَلى أَهْلِها من أعْداءِ الإسْلامِ، وَالمُرابِطُ: هُوَ المُقيمُ فيها، المُعِدُّ نَفْسَهُ لِلْجِهادِ في سَبيلِ اللهِ وَالدِّفاعِ عَنْ دينِهِ وَإخْوانِهِ المُسْلِمينَ، وَهُوَ مِنْ أفْضَلِ الأعْمالِ، وَأجَلِّ القُرُباتِ، أخْرَجَ الشَّيْخانِ مِنْ حَديثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أنَّ النَّبِيَّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالَ:

(١) أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«رِباطُ يَوْمٍ في سَبيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَما فيها»[١]. وَمِنْ أَنْواعِ الرِّباطِ: مُلازَمَةُ المسْجِدِ لِانْتِظارِ الصَّلاةِ، فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلى ما يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطايا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجاتِ؟ قالَوا بَلى يا رَسولَ اللهِ، قالَ: إِسْباغُ الوُضُوءِ عَلى المكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطا إِلى المسَاجِدِ، وَانْتِظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّباطُ، فَذَلِكُمُ الرِّباط»[٢].

﴿واتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي جَمِيعِ أُمورِكُمْ وَأَحْوالِكُمْ، كَما قالَ النَّبِيُّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمُعاذٍ: «اِتَّقِ اللهَ حَيْثُما كُنْتَ»[٣]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَالفَلاحُ هُوَ: الظَّفَرُ بِالمحْبوبِ المطْلوبِ، وَالنَّجاةُ مِنَ المحْذورِ المرْهوبِ، **وَالآيَةُ فيها** أَنَّ الصَّبْرَ وَمُغالَبَةَ الأَعْداءِ وَالمرابَطَةَ وَالتَّقْوى، كُلُّها مِنْ أَسْبابِ الفَلاحِ وَالسَّعادَةِ، وَالفَوْزِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

انْتَهَيْتُ مِنْ تَفْسيرِ سورَةِ (آلِ عِمْرانَ)
وَللهِ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ وَالفَضْلُ.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥١).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٨٧).